

تَارِيخُ مَمَرِ قُضَائِنَا

obeikandi.com

ناتج مصر وفضائلها

المنسوب خطأ لابن زؤلاف
لمؤلف من القرن العاشر الهجري

تحقيق

الدكتور علي عمر

بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعة

المنيا والإمام بالرياض

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م
جميع الحقوق محفوظة للناسر

٢٠٠٢ / ٢٣٧٥	رقم الإيداع
977 - 341 - 063 - 3	I. S. B. N الترقيم الدولي



الناسر
مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ ش بورسعيد - الظاهر - القاهرة

ت: ٥٩٢٢٦٢٠ - ف: ٥٩٣٦٢٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

ظل كثير من المؤرخين حتى اليوم ينسبون هذا الكتاب الذى نقدم له اليوم إلى ابن زولاق المتوفى سنة ٣٧٨هـ.

فبروكلمان ينسب فى كتابه تاريخ الأدب العربى ج ٣ ص ٨٣ كتاباً لابن زولاق بعنوان تاريخ مصر وفضائلها، ويشير إلى أنه الموجود بالمكتبة الوطنية بباريس برقم ١٨١٧.

وسزكين كذلك فى كتابه تاريخ التراث العربى ج ١ ص ٥٨٢ ينسبه لابن زولاق، ولكنه يذكر أن عنوانه «تاريخ مصر وأخبارها» ويشير كذلك إلى أنه الموجود بباريس برقم ١٨١٧.

وسار على هذا النهج كذلك الدكتور حسن إبراهيم حسن فى مؤلفه عن تاريخ الدولة الفاطمية، فنقل جملة من نصوص هذا الكتاب موضوع الدراسة، ونسبها إلى ابن زولاق، وصرح فى حواشيه المتعددة بأن هذه النقول عن كتاب ابن زولاق بالمكتبة الأهلية بباريس برقم ١٨١٧.

كما اعتمده الدكتور عطية القوصى فى كتابه: «تجارة مصر فى البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية».

وينص صراحة فى نقوله على أنها لابن زولاق فى تاريخ مصر: مخطوطة بالمكتبة الأهلية بباريس برقم ١٨١٧.

وقد تكرر لديه النقل عن ابن زولاق على هذه الصورة.

والحقيقة أن نسبة الكتاب لابن زولاق فى كل هذه الأقوال خطأ، إذ ورد فى صفحاته الأولى، وفى الورقة الثانية على وجه التحديد خبر ذُيِّل نصه بعبارة: «ذكره المقرئ فى كتابه المسمى بالخطوط».

وابن رولاق توفي سنة ٣٨٧هـ، والمقریزی توفي سنة ٨٤٥هـ، أى قبل المقریزی بضع مئات من السنين.

يضاف إلى ذلك أن هذا الكتاب الذى نقدم له اليوم ورد فى آخره ذكر اسمى السلطان الغورى وطومان باى، وهما من ملوك مصر المماليك فى أوائل القرن العاشر الهجرى.

هذا ومما تجدر الإشارة إليه أن الدكتور حسن إبراهيم ذكر فى حواشيه فى كتابه عن تاريخ الدولة الفاطمية ص ٣٥٠ أن كتاب ابن رولاق - المكتبة الأهلية بباريس مخطوط ١٨١٧ هو موجز للسفر الضخم الذى ألفه فى تاريخ مصر، وأن هذا المخطوط قد أمدنا بمعلومات هامة عن تاريخ الخلفاء الفاطميين الأول إلى سنة ٣٨٦، ثم ذكر أن هذا المخطوط أكمله أحد الأتراك، ومن المحتمل أن يكون قد أدخل عليه معلومات استقاها من المؤرخين المتأخرين، أمثال القضاعى وأبى الفرج بن الجوزى، وسبط ابن الجوزى، والذهبي.

ومن المعلومات فى هذا الكتاب ما يتناول الكلام على سنة ٣٨٧هـ - أى سنة وفاة ابن رولاق، وما تلاها من السنين.

ومع هذا فذلك كله منسوب إلى ابن رولاق تنمة للعمل الذى بدأه، كما هو الحال فى كتاب الكندى: كتاب القضاة، الذى بدأه الكندى حتى وصل إلى سنة ٢٤٦هـ، فجاء ابن رولاق وابن حجر فأكملاه، ومع ذلك فالحقائق التى وردت فى الكلام على سنة ٢٤٧هـ، وما تلاها تنسب أيضاً إلى الكندى، مع أنه لم يكتب إلا الجزء الأول من ذلك الكتاب الذى ينسب إليه ويعرف بنفس الاسم.

قلت: هذا القول يستقيم لو أن القسم الأول فى كتابنا هذا اقتصر على كتابات ابن رولاق ولم ترد فيه نقول عن الذهبى والمقریزی وغيرهما.

وربما لو خلا القسم الأول عن ذكر هؤلاء المؤرخين اللاحقين لأمكن نسبة الكتاب لابن رولاق، ولأمكن القول بأن بعض المؤرخين اللاحقين أكمله، كما هو الحال فى كتاب الكندى.

وبما أن الأمر يختلف هنا عما هناك فالكتاب ولا ريب لمؤرخ من القرن العاشر الهجرى لا يُعرَف اسمه .

هذا وقد استندت فى تحقيق هذا النص إلى مخطوطتين مع مقارنتهما بأهم المصادر المتعلقة بموضوع النص .

١- نسخة المكتبة الأهلية بباريس برقم ١٨١٧ ، وعدد أوراقها ٩٣ ورقة، وعنوان الكتاب كما جاء على طرة هذه النسخة «تاريخ مصر وفنائنها» وهذه النسخة كثيرة التصحيف والتحريف، وبها سقط فى عدة مواضع، وتاريخ نسخها سنة ١٠٧٣هـ .

٢- نسخة أخرى مخطوطة بهزانة خاصة، كتبت بخط معتاد يجنح إلى الصحة والإتقان والضبط القليل، وفى حواشيتها ما يفيد إلى قراءتها ومطالعتها .

هذا ولم أشر إلى النقص فى إحدى النسختين والزيادة فى النسخة الأخرى، والخطأ فى إحداهما والصواب فى الأخرى، بل اتخذتهما أصليين يكمل بعضهما بعضاً، ويُصَوَّبُ بعضهما بعضاً، وأشرت فقط إلى ما يضاف إلى متن الكتاب من كتب أخرى .

هذا وأذكر بالفضل والشكر الأستاذ أحمد أنسى صاحب ومدير مكتبة الثقافة الدينية لما لقيت منه من عون فى إحضار مخطوطة هذا الكتاب من باريس فى رحلته إليها هذا العام .

ولولا ما بذله من جهد لما تيسر إخراج الكتاب ولظلت الأوهام عالقة بأذهان كثير من الباحثين والدارسين فيما يتصل بالمؤلف وكتابه إلى حين .

د. على عمر

القاهرة فى يوليو سنة ٢٠٠١م

obeykandi.com

C. Berault
S R



Volume de 93 Feuilletts

22 juin 1874.

Suppl. ar.
n° 820

هذاتاريخ مصر
و من اهلها لابن
علي بن تميم



الاق على
القام

Histoire particuliere ou
Annales de la ville du Caire
en plusieurs

par Boulac, ali el Tammam

Les écrivains de la ville du Caire, selon
l'ordre de leur vie, par le
sieur de Boulac, ali el Tammam, auteur
de l'histoire des sultans et des rois de l'Égypte.

Ex Bibliotheca V. CL. Eusebii RENAUDOT.

quam Monasterio sancti Germani à Pratis

legavit anno Domini 1720.

qui ont été maîtres de l'Égypte, et sont arrivés
à la conquête par le Caire, par le
sieur de Boulac, ali el Tammam, auteur
de l'histoire des sultans et des rois de l'Égypte.
Les écrivains de la ville du Caire, selon
l'ordre de leur vie, par le
sieur de Boulac, ali el Tammam, auteur
de l'histoire des sultans et des rois de l'Égypte.

صفحة العنوان من نسخة باريس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَبِشَهِيدِ
 الْحَمْدِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
 عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَآلِهِمُ الْمُرْسَلِينَ
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ أَعْلَمُ أَيُّهَا السَّامِعُ
 وَفَقِنِي اللَّهُ وَأَيُّكَ لَطَاعَتُهُ إِنْ مَصْرَكَاتٍ مِنْ أَجْلِ
 الْبِلَادِ قَدَرًا وَأَكْثَرُ ذِكْرًا وَأَعْجَبُ جَوَادًا وَأَعْظَمُ
 حُجْرًا وَفَرْدًا ذَكَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَصْحَابِهِ الْمُرْسَلِينَ
 مَصْرُوعًا سِتْمَا فِي عَشْرِينَ مَوْضِعًا ثَانَةً بِصَرْحٍ وَثَانَةً
 بِالْإِيمَاءِ وَأَمَّا الْآيَاتُ فَتَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى إِذَا دَخَلَ مَصْرُ
 أَنْ شَاءَ اللَّهُ أَمِينٌ وَقَالَ تَعَالَى خَبْرًا عَنْ فِرْعَوْنَ حِينَ قَالَ
 أَلَيْسَ لِي مَلِكٌ مَصْرُوعًا هَؤُلَاءِ الْأَنْبَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا
 تَتَّبِعُونَ وَبِالْإِشَارَةِ وَالْإِيمَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَى فَأَخْرَجْنَاهُمْ
 مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَفَتَنَّاكَ لَتَكُنَّ مِنَ

ثم اخبر الملك المنصور عبد العزيز ثم الخليفة العباس ثم
المويع شيخ ثم ولد المظفر احمد خلع وسجن حتى مات ثم
الظاهر بلييس ثم ولد الصالح محمد برساى ثم ابنه العزيز
يوسف ثم الظاهر جغتى وابن المنصور عثمان خلع وسجن حتى
مات ثم الاشرف اقبال ثم ابنه المديب احمد ثم الظاهر خستقدم
ثم الظاهر بلباى ثم الظاهر محمد ثم الاشرف قايتباى فكان
هو السادس عشر اقام اربع سنوات ثم خلع نفسه ثم المنيد
في يومه بسبب ذلك ثم اتى مات ثم تولي بعده الملك
الناصر محمد ثم تولي بعده خاله الملك الظاهر قانصوه ثم تولي
بعده الاشرف جان بلاط ثم العادل طومان ناي ثم الاشرف
قانصوه الغوري فكان جملة السلاطين خمس مائة ثم
تولي طومان ناي ابن ابي الغوري ثم سليم شاه ثم ولد سليمان
والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وهذا منه على سبيل عهد وعلمهم
لما كثرا البدا دايما الى يوم الدين
المس ١٠٢
١٠٢

الملك الناصر محمد قبايل ثم تولى بعده عماله الملك
 الظاهر قاتصوه ثم تولى بعده الاشرق جيان بل
 ثم العادل طومان ياي ثم الاشرق قاتصوه
 القوري فكان جلة السلاطين ختمها به
 ثم تولى طومان ياي بن تاجي القوري
 ثم سليم شاه ثم ولد له سليمان
 والله تعالى اعلم بالصواب
 واليه المرجع والمآب وكان
 القراخ من كثر هذه
 السخنة الميادنة
 يوم الخميس ناسح
 صحيان سنة تسع
 وثمانين الهلا لمحمد
 ابراهيمنا والحمد
 لله وحده
 ام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين، وإمام المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

اعلم أيها السامع، وفقني الله وإياك لطاعته، أن مصر كانت من أجل البلاد قدراً وأكثر ذكراً وأعجب حوادث وأعظم خبراً.

لذكر المواضع التي وقع فيها ذكر مصر في القرآن

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز مصر ومحاسنها في عشرين موضعاً، تارة بصريح اللفظ، وتارة بالإيماء، فأما الآيات التي بصريح اللفظ فمنها قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ﴾ (سورة يوسف: ٩٩) وقال تعالى مخبراً عن فرعون حين قال: ﴿أَلَيْسَ لِي مَلِكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (سورة الزخرف: ٥١).

وبالإشارة والإيماء، فمنها قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَهِنَ﴾ (سورة الدخان: ٢٥-٢٧). يعني مصر. وقوله تعالى مخبراً عن يوسف عليه السلام: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ (سورة يوسف: ٥٥) يعني أرض مصر.

[أما روى عن رسول الله ﷺ في ذكر مصر]

وقال ﷺ: «إذا فتح الله عليكم بقرى مصر فاتخذوا منها جنداً كثيفاً، ففلك الجند خير أجناد الأرض لأنهم في رباط إلى يوم القيامة»^(١).

وقال ﷺ: «قسّمت البركة عشرة أجزاء، جعل الله منها تسعة أجزاء في مصر وجزءاً واحداً في سائر الأرض»^(٢).

(١) أورده صاحب الكنز برقم ٦٢ ٣٨٢.

(٢) أورده ابن ظهيرة ص ٧٦.

وقال عليه السلام : «أهل مصر قوم ضعاف، ما كادهم أحد إلا كفاهم الله مثوته»^(١).

وروى في بعض الاخبار أن الله تعالى يقول لساكنى مصر يوم القيامة: ألم أسكنكم مصر؟ أما كنتم تشبعون [من خبزها وتروون] من نيلها^(٢).

وهذا من جملة النعم لا من باب المناقشة.

[آثار موقوفة]

وقال كعب الاحبار رضي الله عنه : لولا رغبتى فى بيت المقدس لما سكنت، إلا مصر، قيل له: ولم ذلك؟ قال: لأنها بلد معافاة من الفتن، ومن أراد بها سوءاً قصمه الله تعالى^(٣).

[دعاء الاتيياء لمصر]

وروى أن آدم، عليه السلام، أول من دعا لها بالبركة والخصب والرافة، ولما أهبط إلى الأرض مثَّلت له الدنيا جميعاً، شرقها وغربها، وجبلها وأنهارها، ومن يسكنها من الأمم، فلما نظر آدم، عليه السلام، ذلك ورأى مصر بين جبلين وفى وسطها نهراً جارياً ينحدر من الجنة، من تحت سدرة المنتهى، وأعجبتة، فدعا لها بالبركة فى زرعها وفى نبتها، سبع مرات^(٤).

وكذلك نوح، عليه السلام، دعا لها بالبركة والخصب، هكذا ذكره المقرئى فى كتابه المسمى «بالخطوط»^(٥).

(١) أورده النويزى ج ١ ص ٣٤٦.

(٢) أورده ابن الكندى فى فضائل مصر المحروسة ص ٢٨، والسيوطى فى حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢ وما بين حاصرتين منهما.

(٣) أورده السيوطى فى حسن المحاضرة ج ١ ص ٢١.

(٤) أورده السيوطى فى حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٠.

(٥) الخطط ج ١ ص ٢٦ - ٢٧ والنقل عن المقرئى هنا من الأدلة على أن الكتاب الذى يـ أيدينا ليس لابن رولاق.

[ذكر اشتقاق مصر]

وقال أبو الحسن المسعودي: إن مصر كان اسمها قديماً درسان، أى: باب الجنان، وسميت بعد الطوفان جزلة^(١)، وقيل: إن سبب اسمها مصر لأن مصرام بن مصرم بن بيصر بن حام بن نوح، عليه السلام، سميت باسمه، غير أنهم أسقطوا من ذلك الاسم الميم لكثرة استعماله، وهو اسم أعجمي لا ينصرف، والله أعلم^(٢).

[ذكر حدود أرض مصر ومسافتها]

قال أبو الصلت أمية الأندلسي^(٣): إن حد إقليم مصر طولاً من مدينة برقة إلى عقبة أيلة، نحو أربعين يوماً، ومسافة حدها في العرض من مدينة أسوان، من أعمال الصعيد، إلى العريش، عند الشجرتين والحفائر التي هناك^(٤).

وقيل: إن حد إقليم مصر الشمالى من برقة إلى منتهى الواحات السبع، ويمتد إلى بلاد النوبة من حد أسوان إلى منتهى بحر الروم عند ثغر دمياط إلى ساحل رشيد [إلى الإسكندرية، آخذ جنوباً إلى ظهر الواحات إلى حدود النوبة. والحد الشرقى من بحر القلزم قبالة أسوان إلى عيذاب، إلى القصير، إلى تيه بنى إسرائيل، ثم يعطف شمالاً إلى بحر الروم من عند الحفائر التي هناك خلف العريش، وينتهى إلى ثغر دمياط إلى رشيد إلى الإسكندرية، ثم يعطف إلى برقة من الساحل حيث ابتداء منه]^(٥).

وكان إقليم مصر متصلاً بالعمارة على شطى النيل، كأنها مدينة واحدة، مشتبكة بالأشجار المثمرة، بالفواكه الياقة، والقرى العامرة، حتى كان المسافر يسير من ثغر (١) لدى المقرئى فى الخطط ج ١ ص ١٨: «ويقال: كان اسمها فى الدهر الأول قبل الطوفان جزلة ثم سميت مصر».

(٢) الخطط ج ١ ص ١٨.

(٣) هو أمية بن عبد العزيز الأندلسي أبو الصلت، من أهل دانية بالأندلس، رحل إلى المشرق فأقام بمصر عشرين عاماً، من تصانيفه: الرسالة المصرية توفى سنة ٥٢٩ وهذا من أقوى الأدلة على أن الكتاب الذى تقدمه اليوم ليس لابن زولاق المتوفى سنة ٣٨٧ هـ.

(٤) الرسالة المصرية لأبى بالصلت ص ١٥، الخطط ج ١ ص ١٥، بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٢.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٢ وما بين حاصرتين منه.

الإسكندرية إلى مدينة أسوان بلا زاد، بل يسير في ظل من الأشجار، وقرى عامرة، لا يحتاج فيها إلى زاد يحمله معه^(١).

قال ابن عباس رضي الله عنه: كان في زمن مصرام الذي سميت به مصر إذا زرعت أرضها وشملها ماء النيل تصير الحبة القمح قدر كلية البقرة، وكان طول القشاء أربعة عشر شبراً، كل واحدة. وكان طول الطرف القرع ثلاثين شبراً، وكان العرجون الموز يطرح ثلاثمائة موزة، وكل موزة رطلاً واحداً، وكان العنقود العنب إذا قطف من البستان يحمل على بعير من كبره^(٢).

وكانت الأترجة تشق نصفين من عظم خلقتها، ويحمل كل نصف منها على بعير، وكانت الحبة الكمثرى زنتها سبعمائة درهم، وكانت الرمانة الواحدة إذا قشرت يقعد في قشرها ثلاثة أنفار، وكانت البطيخة الواحدة زنتها ثمانون رطلاً، وطول كل بلجة شبراً، وقس على ذلك بقية الفواكه والحبوب، وكل ذلك ببركة دعوة نوح، عليه السلام^(٣).

قال ابن عباس رضي الله عنه: لا زالت الأرزاق تنقص والآجال كذلك إلى يومنا هذا^(٤).

وقال المسعودي: لو زرعت أرض مصر كلها لوفت بخراج الدنيا بأسرها.

ذكر فضائل مصر ومن ولد بها من الاتبياء عليهم السلام

ولد بها موسى، عليه السلام، وأخوه هارون، عليه السلام، ويوشع بن نون^(٥).

ودخل إليها عيسى^(٦) عليه السلام، وتوجه عيسى [إلى] الصعيد، ثم أقام بقرية هناك تسمى أهناس.

وكان بمصر النخلة المذكورة في القرآن [في] قوله تعالى: ﴿وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ تَسَاقُطُ عَلَيْكَ رُطْبًا خَبِيثًا﴾ (سورة مريم: ٢٥).

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٢.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٠.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٠ - ١١.

(٤) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١١.

(٥) ابن ظهيرة ص ٨٣.

(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٩.

ودخل مصر أيضاً من الأنبياء: إبراهيم الخليل، ويعقوب، ويوسف، والأسباط، وأرميا، ودانيال، ولقمان الحكيم، عليهم السلام^(١).

ودفن بها من الصحابة والتابعين جماعة كثيرة، وكذلك من العلماء، رضوان الله عليهم أجمعين.

وكان من أهلها مؤمن آل فرعون الذى أثنى الله عليه فى القرآن العظيم، ومنهم آسية امرأة فرعون التى أخبر الله عنها فى القرآن^(٢).

ومن أهلها سحرة فرعون الذين آمنوا فى ساعة واحدة مع كثرتهم.

ذكر محاسن مصر وعجايبها وما فيها من أنواع

فيها ثلاثون نوعاً لا توجد إلا بها، وهى:

معدن الزمرد الذبابى يوجد فى نواحي البهنسا، والشب اليماني، والملح، والأبتوس^(٣) الأسود، والرخام الملون، والأفيون، وهو عصارة الخشخاش، ودهن اللسان بأرض المطرية يتناهى فى ثمنه ملوك النصارى، ولهم فيه اعتقاد كبير^(٤) والسماك الرعاد، وينفع للحمى إذا علق على المحموم فإنه يبرأ بإذن الله تعالى^(٥).

وبها الحيات التى يعمل منها الترياق^(٦) ومنافعه لا تحصى، والسقنقور^(٧) ومنافعه كثيرة، والحطب السنط^(٨)، والقمح اليوسفى^(٩)، ودهن السلجم، ومعامل الفراريج، فإنه لا يعمل

(١) فضائل مصر لابن رولاق ص ١٣.

(٢) ابن رولاق: فضائل مصر ١٤.

(٣) الأبتوس: شجر خشبه أسود صلب، ويصنع منه بعض الأدوات والأواني والآلات.

(٤) قارن ابن ظهيرة ص ١٣٣.

(٥) الخطط ج ١ ص ٢٨.

(٦) الترياق دواء السموم.

(٧) السقنقور: حيوان برمائي، يتوالد من السمك والتمساح، فلا يشاكل السمك لأن له يدين ورجلين، ولا يشاكل التمساح لأن ذنبه أجرد، أملس، عريض، غير مضرس.

(٨) السنط: شجر من الفصيلة القرنية، له سوق غلاظ أمثال شجر الجوز، يستخرج منه الصمغ، ويكثر بمصر.

(٩) ابن ظهيرة ص ١٣٣.

فى غير مصر، والنارنج، والأترج المدور، وقيل: إنه حمل من أراضى مصر إلى بلاد الهند وزرع بمصر بعد الثلاثمائة من سنى الهجرة ولم يعهد بمصر قبل ذلك^(١). والخوخ الزهرى الأحمر^(٢)، والعسل النحل المصرى من بنها، ونجاج الخيل والبغال والحمير يفوق على غيرهم من سائر البلاد^(٣). ويعمل بها أجلال الخيل، ومقاطع الشرب التى تعمل بدمياط، وبها العرس والنمس^(٤) ياكلون الثعابين، ولولا هو ما سكنت مصر^(٥).

وبها البطيخ الصيفى الذى منافعه لا تحصى، وقيل: إن ذريعة البطيخ نقلت من الهند إلى مصر فى أيام القبط^(٦).

وبها الرخام المرمر، وبها البرسيم الذى تربط عليه الخيل فى زمن الربيع، وبها الكتان وخيار الشبر^(٧) الذى منافعه لا تحصى، وأصل المنافع، كون أن ذلك يشرب من ماء النيل المبارك الذى من شرب منه هضم ما عنده من الأكل.

وقال بعض الحكماء: لولا الليمون على أهل مصر لوخموا من حلاوة ماء النيل.

وبها العوسج^(٨) ومنافعه لا تنكر.

قيل: إنما فضلت مصر على الشام بأربعة أشياء: اللحم الضأن العربى، وبجها، وبمائنها، ويعسلها^(٩).

ومن فضائل مصر أن الرخامة الخضراء التى فى الحجر عند الكعبة من مصر، بعثها إلى الكعبة محمد بن طريف، مولى العباس بن محمد فى سنة إحدى وأربعين ومائتين من

(١) الخطط ج ١ ص ٢٨.

(٢) ابن ظهيرة ص ١٣٣.

(٣) ابن ظهيرة ص ١٣٢.

(٤) ابن ظهيرة ص ١٣٤.

(٥) ابن ظهيرة ص ١٣٤.

(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٤٢.

(٧) خيار الشبر: ضرب من الخروب، شجره مثل كبار شجر الخوخ.

(٨) العوسج: نوع من شجر الشوك.

(٩) ابن ظهيرة ص ١٨٦.

الهجرة، وبعث معها رخامة أخرى فستقى وضعت على «سطح الكعبة عند الميزاب، وقيل: طولها ذراع بالعمل، وعرضها مثل ذلك، ذكره الفاكهي في «تاريخ مكة»^(١).

قال المسعودي: إن كل قرية من قرى مصر تصلح أن تكون مدينة على انفرادها^(٢).

قال الله تعالى في حق قرى مصر: ﴿وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ (سورة الشعراء: ٣٦).

قال القضاة: لم يكن في الأرض ملك أعظم من ملك مصر، فإنها لو زرعت جميعها لوفت بخراج الدنيا بأسرها^(٣).

وهي أكثر البلاد كنوزاً وعجائب وآثاراً، لا سيما بلاد الصعيد، فإنها مملأة بالعلوم الجليلة والحكم والطلسمات وغير ذلك^(٤).

وسئل بعض الحكماء عن مصر، أي وقت تطيب أرضها؟ فقال: إذا اعتدل هواها وارتفع وباهها، وطاب مرعاها^(٥).

وذلك يكون في زمن الربيع قبل طلوع الشمس وقت اضطراب الأنهار، وتغريد الأطيوار، وتفتح الأزهار، تشبه جنة الفردوس^(٦).

ووصف بعض الحكماء أرض مصر، فقال: مصر ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء، وثلاثة أشهر مسكة^(٧) سوداء، وثلاثة أشهر كهربة صفراء، وثلاثة أشهر زمردة خضراء، فتبارك الله أحسن الخالقين^(٨).

فالثلاثة التي تصير فيها لؤلؤة بيضاء هي: أبيب ومسرى وتوت، يكون الماء عليها فيها وتصير ضياعها مثل الكواكب في السماء فلا يصل إليها أهلها إلا بالزوارق^(٩).

(١) نقله المقرئ في الخطط ج ١ ص ٢٨ - ٢٩.

(٢) نقله الشرقاوي في تحفة الناظرين ص ١٤.

(٣) نقله الشرقاوي في تحفة الناظرين ص ١٤ - ١٥.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٧.

(٥) الخطط ج ١ ص ٢٦، بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٧.

(٦) ابن الكندي ص ٣٩، ابن زهيرة ص ٢١٦، ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٣٧.

(٧) مسكة: قطعة من المسك.

(٨) مروج الذهب ج ١ ص ٣٣٩.

(٩) مروج الذهب ج ١ ص ٣٣٩.

وأما الثلاثة أشهر التى تصير فيها مسكة سوداء فهى بابة وهاتور وكيهك، ينصرف الماء عنها فتصير كالمسكة السوداء^(١).

وأما الثلاثة أشهر التى تصير فيها كالزمردة الخضراء فهى: طوبة وأمشير وبرمهات يظهر فيها الزرع فيصير كالزمردة الخضراء^(٢).

وأما الثلاثة التى تصير فيها كهربة صفراء فهى: برمودة وبشنس وبثونة، يدرك فيها الزرع ويحصد فتصير مثل السبيكة الذهب الصفراء^(٣).

وقد قال بعض الشعراء:

كل وقت فى مصر أمر عجيب
نحن منه فى السعد كالأغنياء
ذهب حيثما ذهبنا ودر
حيث درنا وفضة فى الفضاء^(٤)

وفى مصر كل شهر يوجد نوع من المأكول والمشموم فيقال: رطب توت، ورماني بابة، وموز هاتور، وسمك كيهك، وماء طوبة، ورميس [أى خروف] أمشير، ولبن برمهات، وورد برمودة، ونبق بشنس، وتين بثونة، وعسل أبيب، وعنب مسرى^(٥).

والسبع زهرات التى تجتمع فى وقت واحد، وليس يجتمع ذلك فى بلدة غيرها فى أواخر فصل الشتاء وهى: النرجس، والبنفسج، والورد النصيبى، والقحايى، وزهر النارنج، والياسمين، والنسرین^(٦).

(١) مروج الذهب ج ١ ص ٣٣٩.

(٢) مروج الذهب ج ١ ص ٣٣٩، بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٨.

(٣) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٣٨.

(٤) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٣٨.

(٥) أورده الشرقاوى فى تحفة الناظرين بنصه ص ١٥، وما بين حاصرتين منه.

(٦) أوردها ابن إياس بنصها ج ١ ق ١ ص ٤٠ وأضاف «البان» بدلا من النسرین ثم قال: وأما زهر النسرین، وإن كان من أعظم الزهور رائحة، فإنه غير معدود فى جملة هذه السبع زهرات، لأنه يأتى فى آخر أيام الورد الجورى (القحايى) فلا يلحق النرجس ولا البنفسج، فلم يكن معدودا فى جملة هذه السبع زهرات، لأجل تأخره عنهم وانظر لذلك أيضاً: تحفة الناظرين ص ١٥.

وأهل مصر الغالب عليهم كثرة الأفراح واتباع الشهوات والانهماك في اللذات وتصديق المحال، وفي أخلاقهم رقة وقلة غيرة، وعندهم بشاشة وملق، وعندهم مكر وخداع، ولا ينظرون في عواقب الأمور، وعندهم قلة الصبر على الشدائد، والقنوط من الفرج، وسرعة الخوف من السلطان^(١).

وأهل مصر يتحدثون بالأشياء ويخبرون بالأسور المستقبلية قبل أن تقع^(٢).

ويقال: مصر بأقوالها^(٣).

وقال الشهاب المنصوري:

اعملوا أهل مصر لله شكراً

وقليل من العباد الشكور

إن مصرأ سقى الإله ثراها

بلد طيب وربٌ غفور^(٤)

(١) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٤٨ وأورده تحت عنوان: أخلاق أهل مصر، وانظر تحفة الناظرين ص ١٥.

(٢) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٤٨.

(٣) تحفة الناظرين ص ١٦.

(٤) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٥١.

obeikandi.com

أول من ملك مصر من الجبابرة

تبليلى [الأسن]: وهو الذى بنى مصر القديمة وهى من أعظم المدن، وبها من العجائب ما لم يسمع بمثله، ولكن محا الطوفان رسمها ونسى اسمها.

ثم أقام تبليلى بمصر نحو مائة وثمانين سنة^(١).

وكان له من الأولاد ثلاثة، وهم: نَقْرَاوُس^(٢)، ومصرام، وعيقام.

فلما هلك قسم البلاد بين أولاده، فأما ابنه نَقْرَاوُس فإنه اتفرد بعلم الكهانة والطلسمات، قيل: إنه انتهى إلى بحر المحيط وبنى له هناك قلعة، وكانت الشياطين تحمل سريره على أعناقهم ويطوفون به فى سائر أقاليم الدنيا ثم يرجعون إلى قلعة التى بناها فى وسط البحر المحيط، فاستمر على ذلك حتى هلك^(٣).

ثم تولى من بعده أخوه مصرام، وهو الذى بنى مدينة [مصر] وإليه تسب، وكان عالماً بعلم الكهانة والطلسمات، وكان قد كتب على أبواب مدينته: أنا مصرام بن تبليلى، قد بنيت هذه المدينة وأودعت بها الطلسمات الصادقة والصور الناطقة^(٤).

وهو الذى سار فى الأرض حتى انتهى إلى منبع النيل، وبنى الجسور والقناطر، وأصلح مكان مجراه، وقطع منها الجبال التى كانت تعوق جريان الماء، واستمر سائحاً فى الأرض نحو ثلاثين سنة، ثم هلك^(٥).

وتولى من بعده أخوه عيقام، وكان عالماً بعلم الكهانة والسحر، وهو الذى يحكى عنه حكايات غريبة لا تقبلها العقول لعظمها^(٦).

(١) حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٢، بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٦٤، وما بين حاصرتين منهما.

(٢) لم تتفق المصادر على هذه الأسماء، بل كل مصدر يخالف الآخر.

(٣) حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٢، بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٦٤.

(٤) نهاية الأرب ج ١٥ ص ٨.

(٥) قريب منه ما ذكره السيوطى فى حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٢.

(٦) حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٢.

وقيل: إن إدريس عليه السلام رفع إلى السماء في أيامه^(١).

وقيل: إن عيقام توجه إلى خلف خط الاستواء وبنى هناك قلعة من نحاس أصفر في سفح جبل القُمر الذى ينحدر من أعلاه الماء، رصنع هناك خمسة وثمانين تمثالاً من النحاس الأصفر، يخرج من حلقها ماء النيل ويصب في بطائح هناك ثم ينحدر إلى مصر وأرضها بقانون وتدير بما يكون لأهل مصر فيه المنفعة دون الفساد، وقدر ذلك على ستة عشر ذراعاً بما تروى به أرض مصر جميعها من هذه الستة عشر ذراعاً، واستمر عيقام ساكناً في القصر النحاس الذى بناه على سفح جبل القُمر حتى هلك^(٢).

وتولى من بعده ولده عرياق، وكان عالماً بعلوم الطلسمات وله أعمال عجيبة، منها أنه عمل شجرة من نحاس أصفر ولها فروع إذا قرب منها الظالم اختطفته بتلك الفروع، فلا تفلته حتى يقر بظلمه، ويخرج من ظلامه خصمه وقيل: إن هاروت وماروت كانا في زمانه^(٣).

وكان عرياق يميل إلى النساء الحسان، فتغايرت عليه النساء فعملت إحداهن طعاماً وجعلت فيه سما وقدمته إليه فأكله فمات من وقته وساعته.

وكان قد عمل قبة عظيمة في وسط مدينة أمسوس، وعمل فوقها كالسحابة تمطر مطراً خفيفاً شتاءً وصيفاً، وعمل تحت تلك القبة مطهرة فيها ماء أخضر، يتحصل من ذلك المطر، فإذا استعمله من به أذى أو عاهة فإنه يبرأ بإذن الله تعالى من وقته وساعته^(٤).

فلما هلك تولى من بعده ولده لوجيم، وكان عالماً بالسحر والطلسمات، وله أعمال عجيبة، منها أن الغربان كانوا كثروا في أيامه، وصاروا يفسدون الزرع والغلال، فعمل أربع منارات في جوانب مدينة أمسوس، وجعل على كل منارة صورة غراب وعليه صورة حية وقد التوت [عليه] فلما عاينوا الغربان ذلك نفروا عن تلك المدينة ولم يدخلوها بعد ذلك أبداً مدة حياته^(٥).

(١) حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٢.

(٢) بدائع الزهور ١ ق ١ ص ٦٦.

(٣) ورد لدى ابن إياس بنصه كما هنا ج ١ ق ١ ص ٦٧.

(٤) ورد لدى ابن إياس بنصه كما هنا ج ١ ق ١ ص ٦٧.

(٥) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٦٧ وما بين حاصرتين منه.

ومنها أنه عمل طلسمات للريح، فكانت المراكب المقلعة إذا وصلت إليه تقف ولا تسير، حتى يعملوا له على كل مركب ضريبة يأخذها، فيطلق إليهم الريح من الجو فيسافروا به، واستمر على ذلك في ملكه حتى مات.

وتولى من بعده ابنه خصليم، وكان عالماً فاضلاً في السحر والطلسمات، وله أعمال عجيبة، وهو أول من عمل مقياساً بمصر لزيادة النيل^(١)، وعمل في وسط ذلك المقياس بركة يدخل إليها الماء الذي هو ماء النيل، على حافة تلك البركة عقابان من نحاس أصفر: ذكر وأنثى، فإذا كان أول الشهر الذي يزيد فيه النيل تجتمع هنالك الكهان ويعيرون بكلام حتى يصفر أحد العقابين، فإذا صفر الذكر كان النيل في تلك السنة رائداً عالياً، وإذا صفرت الأنثى كان النيل في تلك السنة ناقصاً فيستعدون لذلك في تحصيل جميع الغلال^(٢). وهو الذي بنى القنطرة الكبيرة ببحر النيل ببلاد النوبة واستمر في الملك حتى هلك^(٣).

ثم تولى من بعده ولده قفال، وكان عالماً فاضلاً في علم السحر والطلسمات، قيل: إنه عمل تحت الأرض سرداباً ينتهى إلى بلاد الصعيد، فكانت نساؤه يتزلن في ذلك السرداب ويمشين فيه إلى بلاد الصعيد حتى يردن البرابى.

وقيل: إن نوحاً، عليه السلام، كان في زمانه، واستمر في الملك حتى هلك^(٤).

وتولى من بعده تدرسان، وكان عالماً فاضلاً في علم السحر والكهانة، وله أعمال عجيبة، منها أنه عمل قصرًا من خشب نقش فيه صور الكواكب وكان يضعه على الماء ويجلس عليه، فبينما هو جالس على ذلك القصر وبين يديه سفرة الشراب وحوله النساء الحسان إذ هبت من الجو رياح عاصفة فاضطرب وانقلب ذلك القصر الخشب بالملك تدرسان، فغرق هو ومن معه وأهلكوا جميعاً^(٥).

(١) الذى لدى ابن عبد الحكيم ص ٣٦ والمقرئى فى خطه ج ١ ص ٥٧: «أن أول من قام النيل بمصر يوسف عليه السلام، وضع مقياساً بمنف، ثم وضعت العجور دلوكة ابنه رياء وهى صاحبة حائط العجور، مقاساً بأنصنا... وهذا هو الصحيح، وانتظر لذلك أيضاً ابن ظهيرة ص ١٧٨.

(٢) حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٣ بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٦٧.

(٣) حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٣، ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٦٧.

(٤) حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٣، بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٦٨.

(٥) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٦٨.

ثم أنشد بعضهم:

تمتّع من الدنيا بالذاتك التي
ظفرت بها ما لم تعقك العوائق
فما أمسك الماضي عليك بعائد
ولا يومك الآتى به أنت واثق^(١)

فلما هلك تولى من بعده ولده سرقاق، وكان عالماً فاضلاً فى علم السحر والطلسمات وله أعمال عجيبة، منها أنه عمل صورة بطة من نحاس أصفر قائمة على أسطوانة من رخام أخضر على باب المدينة، فإذا دخل إلى المدينة أحد غريب صفقت له تلك البطة بجناحيها وتصرخ حتى يسمعها كل من فى المدينة فيمسكوا ذلك الغريب بيده، فكان فى أيامه لا يستطيع غريب يدخل المدينة إلا يمسك من وقته وساعته، حتى هلك سرقاق^(٢).

وتولى من بعده الملك شهلوق، وكان عالماً فاضلاً فى علم السحر والطلسمات، وله أعمال عجيبة، منها أنه عمل شجرة من نحاس أصفر ونصبها على الجبل الأحمر، فكان يقسم بها الرياح إلى البلاد التى يريد الفساد بأهلها فلا يستطيعون بها الإقامة حتى يأتوا إليه ويدخلوا تحت طاعته^(٣).

وفى أيامه ظهر معدن الفضة فى بلاد البجة، فامتاروا منها شيئاً كثيراً حتى عمل جميع أواني فضة، ونعالات الخيل فضة، واستمر شهلوق فى الملك حتى هلك^(٤).

وتولى من بعده ولده سوريد، وكان عالماً فاضلاً فى [علم] السحر والطلسمات، وكانت له أعمال كثيرة، وكان أغنى ملوك الأرض^(٥)، ثم إنه عمل مرآة من أخلاط شتى، فكان ينظر فيها جميع ما يقع فى الأقاليم السبعة من خير وشر، وما روى من أرضها بالماء وما لم يرو، وكانت تلك المرآة فى وسط مدينة أمسوس قائمة على جامة خضراء أسطوانة^(٦).

(١) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٦٨.

(٢) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٦٨.

(٣) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٦٨.

(٤) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٦٩.

(٥) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٦٩.

(٦) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٦٩.

وقيل: إن سوريد هو الذى بنى الهرمين بمصر^(١) اللذين لا تغيرهما الأزمان ولا الدهور^(٢).

وقيل: إن الملك سوريد لما تم بناء الهرمين صنع له عيداً، وجمع له أعيان قومه وأولم فى ذلك اليوم الولائم العظيمة، وكسا الهرمين بالديباج الملون^(٣).

وكتب عليهما بقلم الطير: أنا الملك سوريد، بنيت هذين الهرمين فى ستين سنة، فمن جاء بعدى وزعم أنه مثلى. فليهدمهما فى ستمائة سنة، فإن الهدم أيسر من البناء، وقد كسوتهما الديباج فأكسوهما بالحصر، إن استطعتم^(٤).

واستمر سوريد فى الملك حتى مات.

وتولى من بعده ولده هوجيب، ودفن أبوه فى الهرم الكبير، وقيل: إن سوريد هو الذى بنى البرابى فى إخميم.

وكان هوجيب حكيماً فاضلاً فى علم السحر والكهانة، وله أعمال عجبية، منها أنه عمل درهماً إذا ابتاع صاحبه شيئاً اشترط أن يزن له ما يبتاعه منه بورن هذا الدرهم ولا يطلب عليه زيادة فيعثر البائع ويقبل منه الشرط، فإذا وقع الورن بذلك الدرهم فيزن قبالة جميع الأصناف ولا يعدله فى الورن^(٥).

وقد وجد هذا الدرهم فى كنوز الأرض بعد مدة طويلة، واتصل من ناس إلى ناس حتى وجد فى خزائن بنى أمية.

وكان من شأن ذلك الدرهم إذا أراد الرجل أن يبتاع فيقلبه فيقول له: يا درهم، اذكر العهد القديم الذى أنت عليه، ثم يبتاع به ما أراد، فإذا مضى إلى بيته فيجد ذلك الدرهم قد سبقه إلى ميزانه.

(١) الثابت الآن تاريخياً بعد الاستكشافات وقراءة الحروف الهيروغليفية أن باني الهرم الأكبر الملك خوفو، وباني الهرم الثانى الملك خفرع، وباني الهرم الثالث الملك منقرع.

(٢) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٦٩.

(٣) نهاية الأرب ج ١٥ ص ٢٥.

(٤) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٧٠.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٧٢.

ويجد البائع مكان ذلك الدرهم ورقة بيضاء من قرطاس أو ورقة آس، فكان الناس يتعجبون من شأن هذا الدرهم، حتى فقد من الوجود إلى العدم^(١).

واستمر هوجيب في الملك حتى هلك.

ثم تولى من بعده ولده منقاوس، وكان جباراً عنيداً سفاكاً للدماء، وكان يأخذ النساء الحسان من أزواجهن غصباً، وكان يسمع وصف الجنة من الكهان، فقال: أنا أبني في الدنيا جنة مثلها، فبنى له قصرًا من ذهب وفضة على شاطئ النيل وأجرى فيه الأنهار من ماء النيل، وجعل بأرضه حصباء الدر والجواهر، وكان يجلس فيه وحوله النساء الحسان، فينما هو جالس ذات يوم في القصر وفي يده الكأس، فلما شرب الكأس شرق فمات في وقته، ودفن في ذلك القصر الذي بناه^(٢).

ثم تولى من بعده ابنه أفروس، وكان عالمًا فاضلاً في علم السحر والطلسمات عادلاً في حق الرعية، حسن السيرة، وكان له أعاجيب في كل فن، قيل: إنه بنى قبة على شاطئ النيل من نحاس أصفر، طولها خمسون ذراعاً وعرضها مثل ذلك، وجعل حولها أطياراً من ذهب وفضة إذا دخل الريح في جوفها صفرت بأصوات مطربة بلغات شتى^(٣).

وكان له مدهن من الياقوت الأحمر طوله خمسة أشبار، فكان يشرب فيه الخمر^(٤).

وقيل: إن ذلك المدهن وجد بعد الطوفان في بعض البرابي^(٥).

واستمر أفروس في الملك حتى هلك.

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٧٢.

(٢) خطط المقرئ ج ١ ص ١٣٣، بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٧٢.

(٣) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٧٣.

(٤) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٧٣.

(٥) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٧٣.

[أول من ملك مصر بعد زوال الطوفان]

ثم تولى من بعده ابنه أرمالينوس، وكان جباراً عنيداً، وهو أول من ملك أرض مصر بعد زوال الطوفان ثم بنى مدينة منف.

وكان له ثلاثون ولداً فبنى لكل واحد منهم قصراً بمنف، وقيل: إنما سميت منف لأنها بلسان القبط ثلاثين، يعنى على عدد الأولاد الذين كانوا بها، واستمر بها حتى هلك^(١).

ثم تولى من بعده ولده مصريم وهو مصريم الثانى الذى بنى مدينة مصر بعد الطوفان. وهو مصريم بن بيسر بن حام بن نوح، عليه السلام، وهو من الأمم الثانية بعد مجيء الطوفان، حين أفنى الله العالم وأبادهم أجمعين، فبنى مصريم هذه المدينة وبه سميت مصر. وهو الذى شق بمصر الأنهار وغرس بها الأشجار بعد الطوفان، وهو الذى صنع بها الجسور وعقد بها القناطر^(٢).

وكان له ولد يسمى قُبطيم، وقيل: إن مصريم لما هلك تولى من بعده ابنه وأقام بها وعاش من العمر سبعمئة سنة، واستخرج المعادن من الأرض، واتخذ الكيل والميزان، وسار فى الناس سيرة حسنة حتى هلك.

وتولى من بعده ابنه قُفطريم، وكان جباراً عنيداً كثير الظلم، بنى مدينة بمصر سماها باسمه وجعل لها أربعة أبواب، ونصب على كل باب منها صنماً من النحاس الأصفر، فكان إذا دخل إلى تلك المدينة غريب ألقى عليه النوم فلا يتبته حتى يأتى إليه أحد من أهلها ينفخ فى دبره، فعند ذلك يفيق، وإن لم يفعل معه ذلك فلا ينتبه، ولا يزال نائماً حتى يموت^(٣).

فلما هلك قفطريم تولى من بعده ولده البودشير، وكان عالماً فاضلاً بعلم الكهانة

(١) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٧٤ - ٧٥.

(٢) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٧٥.

(٣) نهاية الأرب ج ١٥ ص ٤٧.

والسحر، عمل شجرة من نحاس أصفر ووضعها في الفضاء، فكان لا يمر بها طير ولا وحش إلا وقف بها فلا يتحرك حتى يقبض عليه باليد، وشبعت الناس من لحوم الطيور والوحوش، واستمر بمصر حتى هلك^(١).

وتولى من بعده ولده فيملون، وكان عالماً فاضلاً في علم السحر والكهانة، حتى قيل: إنه كان يجلس في السحاب فأقام بها مدة في السحاب ستة أشهر، ثم ظهر لقومه عند طلوع الشمس، وهى برج الحمل، ثم أمر جنده أن يولوا ابنه عديم، فإنه ما بقى يرجع إليهم^(٢).

فولوا ابنه عديم، وكان جباراً عنيداً، وهو أول من صلب أصحاب الجرائم، وعمل قدحاً لطيفاً من زجاج أخضر إذا صب فيه الماء أو غيره وشرب منه أهل المدينة لا ينقص منه شيء، واستمر حتى هلك^(٣).

ثم تولى من بعده شدات، صاحب إرم ذات العماد، وهو أول من اتخذ الصيد، وكان مولعاً به، واتخذ الكلاب السلوقية والجوارح بسبب الصيد، واستمر حتى هلك^(٤).

وتولى من بعده ابنه منقائوش، وكان عالماً فاضلاً في الكهانة والسحر، وتوجه إلى أرض المغرب وانتهى إلى الجبل الأسود الذى ليس له مصعد، فتقب فيه الحفائر ووضع فيه جميع أمواله، فمن جملة ذلك اثنتا عشرة ألف عجلة موسوقة بالجواهر، وستمائة ألف موسوقة ذهباً وفضة، فلما مات دفن بذلك الجبل^(٥).

وتولى من بعده ابنه فرسون، وكان عالماً فاضلاً بالسحر والكهانة، عمل منارة على بحر القلزم، الذى هو بحر الحجاز، وجعل فوقها مرآة من أخلاط شتى تجذب المراكب إلى البحر ولا تبرح حتى يؤخذ منها العشر، واستمر حتى هلك^(٦).

(١) نهاية الأرب ج ١٥ ص ٤٩ - ٥٠، المخطوط ج ١ ص ١٣٧.

(٢) جواهر البحور، ورقة ٩.

(٣) جواهر البحور، ورقة ٩.

(٤) النويرى ج ١٥ ص ٦١ - ٦٣، المخطوط ج ١ ص ١٣٧.

(٥) نهاية الأرب ج ١٥ ص ٦٣، المخطوط ج ١ ص ١٣٧.

(٦) جواهر البحور، ورقة ١١.

ثم كتب له تقليداً بولاية مصر وأرسله على يد معاوية بن حُديج في سنة عشرين من الهجرة النبوية.

ثم تولى عمرو بن العاص مصر، واستمر المقوقس بالإسكندرية بطالا يعطى الجزية عن نفسه وعن أولاده حتى مات في زمن عمرو بن العاص، وهو آخر ملوك القبط^(١).

وكان فتح الإسكندرية يوم الجمعة بعد العصر أول جمادى الآخرة سنة عشرين من الهجرة النبوية، وقيل: سنة اثنتين وعشرين^(٢).

ثم بعد ذلك جاءت الروم إلى قسطنطين بن هرقل، وقالوا له: كيف نترك الإسكندرية للعرب وهي مدينتنا الكبرى؟ فتوجه قسطنطين في ألف مركب مشحونة بالرجال المقاتلين، فلما وصل قريباً منها بعث الله عليه ريحاً عاصفاً فغرقت تلك المراكب جميعها بمن فيها.

وأما قسطنطين المذكور، فإنه سلم وطلع إلى بلد تسمى سقلية، فسأله عن أمره فأخبرهم بما وقع له من الريح المفرق وهلاك العساكر الذين كانوا معه، فلما سمعوا مقالته قالوا له: قد أفنيت ما بقى من عسكر الروم وجئت إلينا! فاجتمعوا وقتلوه، وكفى الله المؤمنين القتال^(٣).

[فتح دمياط]

وأما فتح دمياط، فإنه كان في سنة إحدى وعشرين من الهجرة، على يد المقداد بن الأسود رضي الله عنه، وكان بها ملك يقال له: الهاموك من ملوك القبط، وهو خال المقوقس صاحب مصر، وكان للهاموك ولد يسمى شطا، قيل: إنه كان نائماً ليلة من الليالي وهو ينظر النبي ﷺ، فأسلم على يديه ﷺ، فاستيقظ من نومه وتوجه إلى المسلمين ليلاً وأخبرهم بمنامه وإسلامه، ثم دلهم على مسالك المدينة فدخلوها ليلاً واستولوا عليها، ثم وقع بينهم قتال عظيم، وقاتل معهم شطا ابن الملك حتى قُتل في المعركة ليلة الجمعة

(١) الأخبار بطولها لدى ابن عبد الحكم ص ٨٠ وما بعدها.

(٢) أورده بنصه صاحب تحفة الناظرين ص ٣٨.

(٣) فتوح مصر ص ١٩١، حسن المحاضرة ج ١ ص ١٦٢.

وقال رسول الله ﷺ: «مصر كنانة الله في أرضه، ما كاد أهلها أحدٌ إلا كفاهم الله مثونته»^(١).

وقال ابن المتوج: لما فتح عمرو بن العاص مصر واستقر بها، قصد التوجه إلى مدينة الإسكندرية فتوجه إليها وبمن معه من الفرسان، فلما وصل إليها حاصرها أشد حصاراً، حتى أشرفوا على أخذها، فلما رأى المقوقس أنهم أشرفوا على أخذها أرسل إليهم يسألهم في الصلح وأن يجعل لهم عليه الجزية^(٢).

ثم أتى إلى عمرو بن العاص رجل يقال له: ابن بَسَّامة، كان بواباً على باب الإسكندرية، فقال: أتؤمنني على نفسي وعيالي وأنا أفتح لك الباب؟ فأجاب عمرو: لك ذلك.

ففتح له الباب فدخل عمرو بن العاص ومن معه من المسلمين فملكوها وأسروا المقوقس^(٣).

فكتب الأمير عمرو بن العاص يشير أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بذلك ويقول: إني قد فتحت مصر بمعونة الله تعالى، وإنني لا أقدر أن أصف لك ما وجدته فيها، لكن أصفه لك باختصار: وجدت فيها أربعة آلاف دار، وأربعة آلاف حمام، وأثنى عشر ألف بقال يبيعون البقل بعد العصر في جوانب المدينة، وبها مائة ألف مركب من مراكب الروم الكبار، وستمائة ألف يهودي، وقد هرب أكثرهم إلى بلاد الروم من البحر، وأوجبت الجزية على من بقى من الرجال - غير النساء والصبيان - على كل رجل دينارين في كل سنة، لكن الذي لم يهرب وتأخر عن الهروب خمسون ألف رجل.

فكتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الجواب عن ذلك، وأرسله إلى عمرو بن العاص: إن من دخل في يدك من القبط والروم فخيرهم بين الإسلام ودينه، فإن أسلم فهو من جملة المسلمين، له ما لهم وعليه ما عليهم، وإن لم يسلم فعليه الجزية كما فعلت.

(١) أورده ابن رولاق في فضائل مصر ص ٦، والنويري ج ١ ص ٣٤٦.

(٢) تحفة الناظرين ص ٣٧.

(٣) فتوح مصر ص ٨٠، تحفة الناظرين ص ٣٨.

ودخل فيه فلم يجد فيه شيئاً من المال، لكن رأى منقوشاً على حيطانه تصاوير العرب راكبين على خيول، وعلى رؤوسهم عمامات وسيوف مقلدين بها، وكتابة في صدر المكان: تملك العرب المدينة في هذه السنة^(١).

وكان كل من ملك مدينة الإسكندرية من ملوك القبط يجعل له قفلاً على ذلك الباب ولا يفتحه، فتلك الأقفال بعدد من ملك الإسكندرية من ملوك القبط.

قال^(٢) الكندي: لما أبطا خبر مصر على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كتب كتاباً إلى عمرو بن العاص يقول له فيه: إني قد وجهتك إلى مصر وأرسلت معك جيشاً كل واحد منهم مقوم^(٣) بمائة فارس، فإذا وصلت كتابي هذا فاجمعهم واخطب لهم وحشهم على القتال وورغهم فيه، وابرز للقتال عند غروب الشمس يوم الجمعة فإنها ساعة إجابة.

فلما أتى كتاب أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص جمع المؤمنين وقرأ عليهم الكتاب يوم الجمعة مستهل المحرم الحرام سنة عشرين من الهجرة النبوية، فعند ذلك برز للقتال وفتح الله بالنصر يوم الجمعة، وفتحت على يد عمرو بن العاص.

ثم أرسل كتاباً مع معاوية بن حديج إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يبشره بفتح مصر^(٤)، فوصل معاوية بن حديج بالكتاب إلى المدينة الشريفة وقت الظهر، فنادى عمر في المدينة: الصلاة جامعة، وجمع الناس وصلى بهم شكرًا لله تعالى، وصلى بهم أيضاً صلاة الغيبة، على من مات من المؤمنين في المعركة، وكان عدتهم اثنين وعشرين رجلاً، كل رجل منهم مقوم بمائة فارس.

ثم قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا فُتحت عليكم بعدى مصر فاتخذوا فيها جنداً كثيراً، فذلك الجند خير أجناد الأرض» قيل: ولم ذلك يا رسول الله؟ قال: «لأنهم في رباط إلى يوم القيامة»^(٥).

(١) أورده صاحب تحفة الناظرين بنصه ص ٣٦ - ٣٧.

(٢) هذا القول لدى ابن عبد الحكم ص ٨٢.

(٣) رواية ابن عبد الحكم: «مقام الألف» ومثلها في الخطط ج ١ ص ٢٨٩.

(٤) ابن عبد الحكم ص ١٠٥.

(٥) أورده صاحب الكنز برقم ٣٨٢٦٢ من رواية عمر بن الخطاب.

ابتداء دولة الإسلام وفتح مصر على يد عمرو بن العاص

ثم إن المقوقس استمر حاكماً بمصر إحدى وثلاثين سنة حتى فتح عمرو بن العاص رضي الله عنه الديار المصرية في سنة عشرين من الهجرة النبوية، في يوم الجمعة مستهل شهر المحرم سنة عشرين من الهجرة النبوية، في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١).

قال الكندي: أرسل عمر بن الخطاب لما كان خليفة جيشاً إلى مصر حاصرها ثلاثة أشهر، وكان المقوقس بقصر الشمع على بحر النيل، وكانت السفن تجري تحته، فلما أشرف عليهم المقوقس من قصره ورأى العرب أشرفوا على أخذ المدينة، نزل المقوقس في مركب كانت راسية على باب قصره، ثم توجه هارباً إلى نحو الإسكندرية، وكان يعلم أن العرب لا بد لهم أن يملكوا مصر (٢).

قال المسعودي: كان في الكنيسة التي داخل مصر المسماة الآن بالمعلقة صنم من نحاس أصفر راكب على جمل من نحاس أصفر، وهو في رى العرب، وعلى رأسه عمامة، وفي رجليه نعلان من جلد، وكانت القبط والروم إذا اعتدى أحد على أحد وتظالموا في شيء بينهم يحضرون إلى عند ذلك الصنم يقفون بين يديه، ويقول المظلوم للصنم: هذا ظلمني، إذا لم تصفني منه قبل أن يجيء هذا الرجل العربي فيأخذ حقى منك، رضيت أو لم ترض، يعنون عمرو بن العاص رضي الله عنه (٣).

وكان بالإسكندرية باب مغلق عليه أربعة وعشرون قفلاً، عزم على فتحه المقوقس فمنعوه القساوسة والرهبان، ثم قالوا له: من تقدم من الملوك لم يفتح هذا الباب ويضع كل واحد عليه قفلاً، وأنت الآخر اجعل لك عليه قفلاً ونحن نعطيك ما خطر لك من المال الذي ظننت أنه فيه، فامتنع وفتحه (٤).

(١) حسن المحاضرة ج ١ ص ١٢٩.

(٢) أورده صاحب تحفة الناظرين بنصه ٣٦.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٠٥ - ١٠٦.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٠٦.

6
eikandi.com

فكان الخصى يخدمه حتى مات، وكانت الشباب البيض عنده حتى مات وكفن في بعضها.

ولما دخل على مارية حملت منه بإبراهيم، فعاش ثمانية عشر شهراً ومات، ثم قال ﷺ: «لو عاش إبراهيم لوضعت الجزية عن كل قبطة»^(١).

وقال ﷺ: «ستفتحون بعدى أرضاً يذكر فيها القيراط، فإذا فتحتموها فامتصوا بأهل مصر خيراً، فإن لهم نسباً وصهرًا»^(٢). وفي رواية: «ذمة وصهرًا».

قال ابن شهاب: عني بالنسب هاجر أم إسماعيل بن إبراهيم الخليل، عليه السلام، فإن أصلها من مصر^(٣). انتهى ذلك.

(١) الحديث متروك وأورده السيوطي في الجامع الصغير ج ٢ ص ١٣٠ ورمز له بالضعف.
(٢) رواه مسلم في صحيحه مع زيادة في اللفظ، كتاب فضائل الصحابة اب وصية النبي ﷺ بأهل مصر ج ٤ ص ١٩٧٠.
(٣) فتوح مصر ص ١٩ - ٢٠.

ثم لا زالت القبط يتولون ملك مصر واحداً بعد واحد حتى كان آخرهم الملك المقوقس، وكان اسمه جريج بن مينا^(١)، أدرك نبوة رسول الله ﷺ.

فلما كانت سنة ست من الهجرة بعث رسول الله ﷺ حاطب بن أبى بلتعة ومعه كتاب من رسول الله ﷺ يدعو فيه إلى الإسلام.

فلما دخل حاطب مصر وجد المقوقس بشجر الإسكندرية فتوجه إليه، وكان من دأبه يصيف بمصر ويشتى بالإسكندرية^(٢)، فلما دخل عليه ناوله الكتاب، فلما أخذه قبله ووضع على رأسه ثم قرأه وعلم ما فيه، وقال لحاطب: نعلم أنه نبي مرسل، أخبرنا المسيح بذلك.

أذكر الهدية التي بعث بها المقوقس إلى رسول الله ﷺ

ثم إنه أرسل مع حاطب هدية عظيمة وهى ألف مثقال من الذهب، ١٠ عشرون ثوباً من بياض مصر، وجارية تسمى مارية، وأخرى تسمى سيرين، وغلام خصى يسمى مابور، وبغلة تسمى الدلدل، وحمار يسمى عُفَيْر - وقيل: يعفور، وعسل نحل من عسل بنها^(٣).

وأكرم حاطب غاية الإكرام، وبعثه بتلك الهدية، فلما وصل حاطب بالهدية قبلها منه [رسول الله ﷺ] واستسلم مارية فأسلمت على يديه، ووهب أختها سيرين إلى حسان بن ثابت^(٤).

وكانت البغلة والحمار أحب إليه من سائر دوابه، فلما أكل من العسل أعجبه فسأله من أين هذا العسل؟ فقال له: من بنها، من قرى مصر، فقال: اللهم بارك فى بنها وفى عسلها^(٥).

(١) ابن عبد الحكم ص ٨٦ حاشية (٢).

(٢) تحفة الناظرين ص ٣٦.

(٣) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٩١.

(٤) أسد الغابة ج ٧ ص ١٦٠.

(٥) لم أعتد إلى تخريجه فيما يدى من مصادر الحديث، وأشار إليه السيوطى فى حسن المحاضرة ج ١ ص ١٤ بقوله: «مرسل حسن الإسناد».

[ابتداء دولة القباط بمصر]

وتولى بعدها شخص من أولاد القبط يسمى دزكون بن بكطوش، أقام مدة طويلة وهلك^(١).

ثم تولى من بعده شخص يقال له مريнос، أقام مدة طويلة، وفي أيامه جاء بختنصر إلى مصر فأخرب مدنها وقراها، ونهب أموالها وقتل رجالها وسبى نساءها^(٢).

وقيل: إنه قتل من بنى إسرائيل سبعين ألفاً وأسر سبعين ألفاً، ومن جملة من أسره دانيال، عليه السلام، وأرميا، ثم توجه بهما إلى أرض بابل التي هي محل ولايته، فلما أخرب مصر وحل عنهما صارت خراباً أربعين سنة ليس بها ساكن أو متحرك^(٣).

وكان النيل إذا زاد ينفرش على الأرض ثم يهبط ولا يجد أحداً يزرع الأرض^(٤).

ثم بعد ذلك ردوا أهل مصر إليها وعمروها كما كانت.

وكانوا مختلطين ما بين عمالقة وقبط ويونان، ولكن أكثرهم قبط، وأكثر من ملك مصر الغرباء.

وكان من عادة ملوك القبط أول يوم النوروز^(٥) - وهو يوم العام الجديد - أن يفتح الملك حواصله ويحضر جميع ما فيها من الملبوس والفرش فيفرقه على الجند، ثم يقول: ليس من أخلاق الملوك أن يدخروا كسوة الصيف إلى الشتاء مثل العوام، ثم تجدد غيرها^(٦).

(١) الخطط ج ١ ص ٣٩، الفضائل اباهرة ص ١٧، ابن ج ١ ق ١ ص ٨٦.

(٢) الفضائل الباهرة ص ١٧، ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨٨.

(٣) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨٨.

(٤) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨٩.

(٥) النوروز، أو النيروز (بالفارسية) اليوم الجديد، وهو أول يوم من السنة الشمسية الإيرانية، ويوافق اليوم الحادي والعشرين من شهر «نرس» من السنة الميلادية وعيد النوروز، أو النيروز: أكبر الأعياد القومية للفرس.

(٦) قريب منه ما ورد في السكردان ص ١٥٩.

عليهم أن لا يفعلوا شيئاً إلا بإذنهن، وصارت هذه عادة فى القبط لا يبيع أحدهم ولا يشتري إلا بإذن زوجته^(١).

ثم إن النساء اجتمعن واتفقن على أن يولين امرأة تسمى دُلوكة، ذات عقل ومعرفة، وكان عمرها مائة وستين سنة، فلما ولوها عليهم وحكمت مصر بنت حائطاً من أسوان إلى العريش، وحاشت بها قرى مصر وضياعها بيناء الحائط، وجعلت على تلك الحائط حراساً وأجراساً من نحاس فى كل ناحية، حتى إذا أتى مصر عدو ورآه الحراس حركوا الأجراس، فيسمعهم أهل مصر فيستعدون لقتالهم^(٢).

وآثار هذا الحائط باق إلى الآن بأعلى بلاد الصعيد، ويسمى حائط العجوز^(٣).

وكانت مدة إقامتها فى ملك مصر مائة وثلاثين سنة ثم هلكت.

(١) فتوح مصر ص ٤٨ - ٤٩، الخطط ج ١ ص ٣٩، ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨٥.

(٢) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨٦.

(٣) نهاية الأرب ج ١٥ ص ١٢٨، الفضائل الباهرة ص ١٧، ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨٦.

وكان بمصر قصور مطلة على بحر النيل متصلة من رشيد إلى أسوان^(١). وقال الله تعالى: ﴿وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ (سورة الأعراف: ١٣٧).

قال إبراهيم بن وصيف شاه: كان خراج مصر في زمن فرعون في كل سنة اثنين وسبعين ألف دينار، يأخذ من ذلك فرعون الربع لنفسه، والربع الثاني لوزرائه، والربع الثالث يدخره بسبب الشراقي في السنين المجدة، والربع الرابع يصرفه في حفر الخللجان وعمارة القناطر والجسور وسد النزع^(٢).

وقال ابن لهيعة: كانت لأراضي مصر في كل سنة سائة وعشرون ألف إنسان، بسبب قلع القضاب وتنظيف الخللجان، وكل نبات يضر بالأرض، ويصرف لهم معالم ورواتب^(٣).

وكان له قائدان يرسلهما أيام التخضير ومعهما إردب قمح، فيتوجهان بذلك الإردب القمح إلى جهة أعلى الصعيد وإلى جهة الوجه البحري، فكل من رأى قطعة أرض بور في إحدى الجهتين فيكتب إلى فرعون بذلك فيرسل يأمر بصلب عامل تلك الأرض التي وجد بها القطعة الطين البور^(٤).

وربما عاد القائدان ومعهما الإردب القمح، فلأجل ذلك كانت مصر عامرة بسبب ذلك^(٥).

ولم يزل خراج مصر اثنين وسبعين ألف ألف دينار في كل سنة حتى هلك حين خرج في طلب موسى عليه السلام، وغرق في بحر السويس في بركة الغرنديل^(٦)، هو وقومه حتى لم يبق غير العبيد والأجراء والنساء.

وكانت المرأة تعتق عبدها وتزوج به، والأخرى تتزوج بأجيرها، وكانوا يشرطون

(١) لدى المقرئ في الخط ج ١ ص ٢٣: «كانت الجنات بحافتي النيل من أوله إلى آخره من الجانبين ما بين أسوان إلى رشيد».

(٢) الخط ج ١ ص ٧٥.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٨٤.

(٤) الخط ج ١ ص ٧٤، ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨٤.

(٥) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨٤.

(٦) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨٥.

مصعب، راصله من مدينة بلخ، وقيل: من ضياع الشام، وكان عطاراً، ثم تجمد عليه ديون فخرج هارباً حتى وصل إلى مصر^(١).

وصفته: أعور بعينه اليسرى، طويل اللحية طولها سبعة أشبار، قصير القامة أعرج، وله أخبار كثيرة في قصته المشهورة^(٢).

ثم إنه لم يزل قائماً بملك مصر عادلاً في رعيته حسن السيرة محبوباً للناس حتى هلك في أيامه ثلاثة قرون من العالم وهو باق، فعند ذلك طغى وتجبر وادعى الربوبية من دون^(٣) الله وقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ (سورة النازعات: ٢٤).

قال وهب بن منبه: عاش فرعو أربعمئة سنة منفرداً بملك مصر، لم ير في طول هذه المدة الماء ولا رمداً، ولا وجعاً ولا حمى، ولا مكروهاً يوماً من الأيام، حتى أخذه الله نكال الآخرة والاولى^(٤).

قال المهدوى في «تفسيره»: لما تلا فرعون قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ لِي مَلِكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (سورة الزخرف: ٥١) قيل: كانت أراضي مصر من رشيد إلى أسوان مشتبكة بالأشجار والأنهار من سائر المحاسن، حتى أن الشمس كانت لا تصل إلى الأرض من كثرة الأشجار، وبها سبعة خلجان: خليج الإسكندرية، وخليج سخا، وخليج دمياط، وخليج سردوس، وخليج منف، وخليج الفيوم، وخليج المنهى^(٥).

وكانت الأنهار تجري فيها صيفاً وشتاءً من كثرة إصلاح القناطر والجسور. وقد قال الله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ (سورة الدخان: ٢٥، ٢٦) قال المهدوى في تفسير المقام الكريم: الفيوم، قيل: كان فيه ألف منبر من الذهب يرسم الوزراء يجلسون عليها. وكانت أراضي مصر تروى من ستة عشر ذراعاً أعاليها وأسافلها.

(١) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨٢.

(٢) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨٢.

(٣) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨٥.

(٤) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨٥.

(٥) خطط المقرئ ج ١ ص ٢٣، الفضائل الباهرة ص ١٧٧.

وكانت مدة البنيان ألف يوم، ولأجل ذلك سميت الفيوم، وكانت عادة قراها ثلاثمائة وستين قرية، على عدد أيام السنة، لتكون كل قرية تغل على أهل مصر يوماً^(١).

ولما مات الريان استخلف بعده ابنه دارم، وهو الفرعون الثالث، وكان جباراً عنيداً مولعاً بشرب الخمر وحب النساء الحسان، فنزل يوماً من الأيام إلى مركب من المراكب وركب فيها إلى بحر حلوان، فسارت إليه الرياح فغرق وهو سكران، ثم طلعوا به ردفنوه بأرض منف^(٢).

وأما فرعون لرابع فكان اسمه عند القبط دريموس، وكان ساحراً عظيماً، وله أعمال عجيبة، منها: أنه عمل صنماً من رخام أخضر وألبسه الحرير الأخضر واتخذ له عيداً، كلما دخل القمر إلى برج السرطان يكون عيده^(٣).

وعمل تنوراً يشوى فيه من غير نار، وعمل سكيناً منصوبة تأتى إليها البهائم فتذبح بها أرواحهم من غير يد، وعمل ناراً تستحيل هواء، وعمل ماء يستحيل هواء، وعمل ماءً يستحيل ناراً، وعمل أشياء كثيرة من الأنواع العجيبة من باب علم النارنجيات^(٤).

وأما الفرعون الخامس وهو الذى يقال له: ميلاطيس الفرعونى، صاحب الصنائع العجيبة، والأفعال الغريبة، التى لم يعمل مثلها، وهو ابن دريموس، كان عالماً فاضلاً وله أعمال غريبة، منها أنه عمل ميزاناً بكفتين من ذهب معلقة فى هيكل الشمس على إحدى كفتيه حق والأخرى باطل، وجعل تحتها فصوصاً ونقش عليها اسم الكواكب، فيدخل الظالم والمظلوم ويأخذ كل واحد منهما فصاً من جملة الفصوص ويسمى عليه ما يريده، ويجعل كلاً منهما فى كفة فتثقل كفة الظالم وتخف كفة المظلوم.

فلما دخل بختنصر إلى مصر أخذ هذا الميزان وحمله إلى بابل مع جملة ما حمل معه من مصر.

وأما الفرعون السادس فهو فرعون موسى، عليه السلام، وكان اسمه: الوليد بن

(١) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨١.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٨١، ٨٢.

(٣) نهاية الأرب ج ١٥ ص ١٢٧.

(٤) هو أخذ كالسحر وليس به، إنما هو تشبيه وتلبيس.

فسار حتى وصل إلى البحر الأسود المسمى بالزفتى، فرأى هناك عقارب طائرة فخرجت على عسكره أهلكت منهم خلقًا كثيرًا لا تُعد ولا تُحصى^(١).

ثم سار حتى وصل إلى مدينة سلوقه فرأى بها حية عظيمة الخلقة طولها نحو ميل، وكانت إذا رأت الفيل تهجم عليه فتبتله تحسبه رمة^(٢).

فلما عاين الريان ذلك انتقل عن تلك المدينة بعد أن هلك من عسكره خلق كثير لا يحصون عددًا، ثم رجع إلى مصر وأقام بمدينة منف، ثم أمر بحصر عسكره فوجد أنه فقد منهم مائة ألف عسكرى، وكانت مدة غيبته فى هذه السياحة إحدى وثلاثين سنة^(٣).

ثم إن الريان كان قد بنى قصر الشمع القديم، وسماه بذلك لأنهم كانوا يوقدون فيه الشمع عند انتقال الشمس من برج إلى برج، وهى تنتقل فى كل سبع عشر من الأشهر القبطية، ولم يزل القصر عامرًا إلى أن جاء بختنصر وأخربه، وملك مصر، وأقام خرابًا نحو خمسمائة سنة، ولم يبق إلا رسومه^(٤).

فلما قويت شوكة الروم على اليونان وملكوا مصر جددوا بناء ذلك القصر، وكان اسم الملك الذى جدد مقرطيس، وجعله بيتًا لعبادة النيران، وكان هذا القصر مطلقاً على بحر النيل.

ثم إن الملك الريان كان مؤمنًا، آمن على يد يعقوب، عليه السلام، لما دخل إلى مصر، وكان يكتم إيمانه خوفًا من فساد مملكته^(٥).

وفى أيامه بنى يوسف، عليه السلام، مدينة الفيوم، وقيل: إنها بنيت بالوحى إلى يوسف، عليه السلام، بلسان جبريل، وكانت أرضها مغايش الماء، فدبر الحيلة يوسف فى أرضها حتى خرج عنها الماء، ثم عمرها فى مدة يسيرة، فلما فرغ من بنائها ركب الريان إليها وصار ينظر ويتعجب من سرعة بنائها^(٦).

(١) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨٠.

(٢) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨٠.

(٣) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨٠.

(٤) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨٠ - ٨١.

(٥) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨١.

(٦) نهاية الأرب ج ١٥ ص ١٢٧، الخطط ج ١ ص ٢٤١، بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٨١.

[ذكر من ملك مصر من الفراعنة]

ثم تولى من بعده الفراعنة وهم ستة فراعنة:

أولهم: فرعون إبراهيم الخليل، عليه السلام، وهو الذى أخذ سارة، وكان اسمه طوطيس^(١)، وقد تقدمت أخباره فى قصص الانبياء، عليهم السلام.

واثنى: فرعون يوسف عليه السلام، وكان اسمه الريان بن الوليد بن أرسلوس، وكان وزيره يسمى قطفير، وهو الذى اشترى يوسف، عليه السلام^(٢).

وكان الريان حسن السيرة عادلاً فى الرعية، وكان قد حصل فى أيامه غلاء عظيم حتى أنه أسقط عن مزارعى مصر ثلاث سنين^(٣) حتى يتقووا فى السنين الماحلة.

وكان خراج مصر فى أيامه مائة ألف ألف دينار فى كل سنة^(٤).

وهو الذى بنى مدينة العريش، وكانت من أجل المدائن، وهو الذى غزا بلاد السودان وقتل خلقاً كثيراً لا تعد ولا تحصى، وكانت منهم طائفة يأكلون الناس جهاراً^(٥).

ثم إنه غزا بلاد الجنوب فرأى قوماً خلقتهم كخلقة القروذ ولهم أجنحة يلتفون فيها^(٦).

ثم غزا أقواماً عند البحر المظلم فرأى هناك وادياً مظلماً فكانوا يسمعون فيه صياحاً عظيماً، ولا يرون أشخاصاً لشدة ظلمته، وعندهم سبع سود غريبة الخلقة، وهى مخرومة الأنوف^(٧).

(١) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٧٩.

(٢) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨٠، ٨١.

(٣) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨٠.

(٤) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨٠.

(٥) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨٠.

(٦) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨٠.

(٧) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٨٠.

وقيل: إنه رأى بيلاد البربر عجائب لم يسمع بمثلها فى سائر البلاد.

قيل: إن جنس البربر أشد الاجناس، وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «بعث الله سبحانه وتعالى إلى أقوام البربر نبياً قبله فذبحوه وطبخوه وأكلوا لحمه وشربوا دمه، وهم أقسى الناس قلباً»^(١).

وقيل: رجع الملك مالىق إلى مصر فسحروا البربر مدينة مصر فكثرت بها التماسيح والثعابين والعقارب والضفادع، وقد فاض النيل حتى غرقت أراض كثيرة فى غير أوانه، فلما عاين الملك مالىق ذلك لبس المسوح السود وافترش الرماد وسجد عليه، ودعا إلى الله تعالى بكشف النازلة بعد أن عجز عن تبديل ذلك السحرة والكهنة، واستمر الملك مالىق فى الملك حتى هلك^(٢).

(١) حديث موضوع وهو من الإسرائيليات وأخرجه صاحب الكنز برقم ٣٨٢٨٤ وعزاه لنعيم بن حماد فى الفتن وذيله بقوله: وفيه يحيى بن سعيد العطار، قال ابن حبان: يروى الموضوعات عن الأثبات، وانظر المجروحين لابن حبان ج ٢ ص ١٢٣.

(٢) نهاية الأرب ج ١٥ ص ٩٧.

وتولى من بعده ابنته نونية الكاهنة، وكانت ساحرة ماهرة فى علم السحر، فأقامت مدة^(١).

ثم وثب عليها أخوها مرتقونس وكان عالماً فاضلاً بالسحر والكهانة، وهو الذى عمل آتية إذا ملئت ماءً يصير خمراً، وقد وجدت فى بعض الكنوز بمدينة إطفيح فى أيام هارون ابن خمارويه بن أحمد بن طولون، ثم هلك^(٢).

وتولى من بعده ابنه صا [وهو الذى بنى مدينة صا] وبه سميت، وهى الآن خراب على شاطئ بحر النيل، وكان بها أسطوانة من الرخام الأبيض وعليها مرآة من أخلاط شتى وكان ينظر فيها جميع ما يحدث من الحوادث فى الأقاليم السبعة من خير أو شر، واستمر فى الملك حتى هلك^(٣).

وتولى من بعده ابنه تدراس، وكان عالماً فاضلاً فى علم السحر والكهانة، وبلغ خراج مصر فى أيامه ألف ألف وخمسين ألف دينار، واستمر فى الملك حتى هلك^(٤).

ثم تولى من بعده ولده مالىق، وكان عالماً فاضلاً فى علم السحر والكهانة، وكان كثير الغزوات فتوجه إلى مدائن البربر وأخربها وأسر أهلها، وكان بالبربر مدينة عظيمة يقال لها: قرميدة، وكان بها ملكة ساحرة، فلما توجه إليها الملك مالىق وجاسرها، ألقت عليهم أشياء من السحر فطمست عيون المياه عن العسكر، فلم يعرفوها، فهلكوا بالعطش حتى مات منهم نحو الثلث^(٥).

فلما عاين الملك مالىق ذلك ترك حصار تلك المدينة ومضى عنها.

وقيل: إن الملك مالىق لما غزا بلاد البربر رأى بها مدينة وبها أقوام وجوههم كوجوه الآدميين، وأرجلهم كأرجل البقر، وعلى أبدانهم شعر مثل شعر المعز، ولهم أنياب بارزة مثل أنياب السباع، فلما حاصروهم لم يقدر عليهم من شدة سحرهم، فتركهم ومضى^(٦).

(١) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٧٨.

(٢) الخطط ج ١ ص ١٣٩، ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٧٨.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٧٦ وما بين حاصرتين منه.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٧٦.

(٥) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٧٦.

(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٧٧.

نصف شعبان سنة إحدى وعشرين من الهجرة، ثم غُسِّلَ وكُفِّنَ ودُفِنَ في خارج دمياط في المكان الذي قُتِلَ فيه، وقبره يُزار إلى الآن، رحمة الله عليه^(١).

ثم إن عمرو بن العاص رضي الله عنه رجع إلى مصر وأراد أن يبنى بها مدينة الفسطاط، وسبب تسمية الفسطاط هو أن عمرو بن العاص لما وصل إلى مصر وأراد فتحها نزل بمن معه من العرب في الفضاء، ونصب له خيمة تسمى الفسطاط، فلما قصد التوجه إلى الإسكندرية أمر بإزالة تلك الخيمة، فوجدوا فيها عشا فيه يمامة قد أفرخت^(٢) فيه، فترك الخيمة لأجلها احتراماً لتلك اليمامة، وشفقة على فراخها، ثم توجه إلى الإسكندرية ففتحها ورجع إلى مصر فقيل له: تنزل في أى مكان؟ قال: مكان الخيمة التي تركتها وعليها اليمامة، فلأجل ذلك سميت مدينة الفسطاط^(٣).

صارت مدينة عظيمة بها عدة مساجد وحمامات وطواحين ومعاصر^(٤).

وكان أولها من حذرة ابن قَمِيحة وآخرها الرُّصْد، ثم لم تزل عامرة ساكنة إلى دولة الفاطمية أيام الخليفة العاضد لدين الله، فخرت مصر في أيامه واستولت عليها الفرنج، ولها قصة عظيمة مشهورة في دولة الفاطمية^(٥).

ثم إن القبط اجتمعوا وجاءوا لعمرو بن العاص رضي الله عنه، وقالوا له: إن نيلها له سنة لم يجر إلا بها، فقال لهم: وما هي؟ قالوا له: إذا كان لثنتي عشرة ليلة تخلو من شهور بثونة من الشهور القبطية، عمدنا إلى بنت بكر أخذناها من أبيها غصباً أو رضا^(٦) والبسناها الحلى والحلل، وألقيناها في بحر النيل في مكان معلوم.

فلما سمع عمرو بن العاص ذلك قال لهم: هذا لا يكون أبداً في الإسلام، فأقام أهل مصر جميع شهر بثونة وأبيب ومسرى وتوت لم يجر فيهم النيل لا قليلاً ولا كثيراً، فهموا

(١) الخطط ج ١ ص ٢١٣ - ٢١٤، ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٠٧.

(٢) أفرخ الطائر: صار ذا فراخ.

(٣) الخطط ج ١ ص ٢٩٦ تحفة الناظرين ص ٣٩.

(٤) تحفة الناظرين ص ٣٩.

(٥) الخطط ج ١ ص ٣٣٩، تحفة الناظرين ص ٣٩.

(٦) الرواية لدى ابن عبد الحكم وابن رولاق والمقرئزي وابن ظهيرة: «أرضينا أبيها» ولم يرد فيها «الغصب».

بعد ذلك بالجلء، فلما رأى عمرو بن العاص ذلك كتب كتاباً إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرسله مع نجاب، فلما وصل إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب بطاقة وأرسلها إلى عمرو بن العاص وأمره أن يلقيها في بحر النيل، فلما وصلت عمرو بن العاص رضي الله عنه فتحها وقرأ ما فيها فإذا فيها مكتوب:

من عبد الله عمر بن الخطاب إلى نيل مصر المبارك، أما بعد: فإن كنت تجرى من قبلك فلا حاجة لنا بك، وإن كان الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأل الله تعالى أن يجريك (١).

ثم إن عمرو بن العاص ألقى البطاقة في بحر النيل قبل عيد الصليب بيوم أو يومين، وكان قد جلا غالب أهلها بسبب عدم جريان النيل، فلما أصبحوا رأوا النيل قد زاد في تلك الليلة المباركة ستة عشر ذراعاً دفعة واحدة، وأوفى وفاءً مباركاً، وقطع الله تلك السنة الشنيعة ببركة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٢).

ثم إن عمرو بن العاص لما كان بمصر جمع من كان بها من الاقباط وقال لهم: من كان عنده كنز أو يعرف عند أحد كنزاً ولم يحضره وكنمه ضرب عنقه، فقالوا له جماعة من الاقباط: إن رجلاً قبطياً (٣) يقال له: بطرس عنده كنز عظيم، فحضر بين يديه فقال له: بلغني أن عندك كنزاً من كنوز فرعون، فأنكر منه ذلك الكنز، فأمر عمر رضي الله عنه بسجنه فسُجن، وأقام في السجن مدة طويلة (٤).

ثم إن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال للموكلين به: هل تسمعونه يذكر أحداً من أصحابه؟ فقالوا له: نعم، سمعناه يذكر راهباً في الطور، فأرسل عمرو بن العاص إلى بطرس يطلب الخاتم الذي في إصبعه، فأرسله إليه (٥).

ثم إن عمراً أرسل الخاتم إلى ذلك الراهب، فلما وصل الخاتم إلى الراهب تحقق أمراً

(١) الفضائل الباهرة ص ١٧٥.

(٢) ابن عبد الحكم ص ١٧٦، الخطط ج ١ ص ٥٨، الفضائل الباهرة ص ١٧٥.

(٣) لدى ابن عبد الحكم ص ١١١: «تَبَسَّطِيًا».

(٤) فتوح مصر ص ١١١، حسن المحاضرة ج ١ ص ١٢٣.

(٥) فتوح مصر ص ١١١.

صحيحًا، فقام الراهب وأخرج من الدير حقا مختوما بالرصاص وسلمه إلى حامل الخاتم الذى حضر به إليه، فلما حضر بالحق بين يدي عمرو وفتح فوجد فيه صحيفة مكتوبًا فيها: إن الأموال التى وجدت فى كنوز فرعون موضوعة تحت الفسقية الكبيرة التى بقصر الشمع، فحضر إلى عند الفسقية وكشفها فوجدها ملأنة بالأموال المذكورة، فإذا هو اثنان وخمسون إردبًا بالكيل^(١). هكذا نقله ابن وصيف شاه.

قال: فلما رأى عمرو ذلك أرسل إلى بطرس فأحضره وضرب عنقه بين يديه بحضرة جماعة من الأقباط، فصار كل من سمع من الأقباط ما وقع لبطرس وكان عنده كنز أحضره بين يدي عمرو بن العاص^(٢).

ثم إن عمرو بن العاص لما ابتدأ ببناء جامع الكبير الذى بمصر القديمة، وقف على وضع قبلته ثمانون^(٣) رجلا من الصحابة رضي الله عنهم، وهو أول جامع بنى فى الإسلام بمصر المحروسة، وهو جامع مبارك يستجاب فيه الدعاء^(٤).

ثم إن عمرو بن العاص سأل المقوقس وقال له: إنك قد وليت مصر إحدى ثلاثين سنة، فبماذا تكون عمارتها؟ أى عمارة أرضها فقال المقوقس: إنى رأيت الذى يقوم بعمارة مصر حفر الخلدجان وإصلاح جسورها وسد ترعها ولا يؤخذ خراجها إلا من غلالها، وتحجر على عمالها من المظل، وتمنعهم من الرشا ويرفع عن أهلها أخذ الهدايا والمعاون^(٥) ليكون قوة لهم على وزن الخراج عنهم^(٦).

قال ابن عبد الحكم: كان بمصر فى زمن الأقباط أربعمائة ألف ألف محراث يحراثون الأرض، ومائة ألف ألف وأربعة وعشرون ألف مزارع، منهم سبعون ألفًا لبلاد الصعيد

(١) فتوح مصر ص ١١١، حسن المحاضرة ج ١ ص ١٢٤.

(٢) فتوح مصر ص ١١١، حسن المحاضرة ج ١ ص ١٢٤.

(٣) فى الأصل سبعون والمثبت رواية فضائل مصر المحروسة وحسن المحاضرة.

(٤) تحفة الناظرين ص ٣٩.

(٥) المعاون: جمع معونة وهى العون والإعانة، وقد أطلقت فى سنة ٢٥٠ هـ وما بعدها على الأموال الهلالية (أى غير الخراجية) كالضرائب التى كانت تفرض على الكلا الذى ترعاه البهائم، وتسمى المراعى، وعلى صيد البحر، وتسمى المصايد، كما كان يطلق على هذه الأموال اسم الحرافق.

(٦) فتوح مصر ١٨٨، فضائل مصر المحروسة ص ٣٨، فضائل مصر لابن رولاق ص ٩٣، الفضائل الباهرة ص ١٢٣.

والباقى ببلاد بحرى^(١)، ثم حررت مساحة أراضى مصر بعد أن تلاشى أمرها بالنسبة إلى
رمن فرعون، فكانت مساحتها مائة ألف فدان تزرع غير البور^(٢).

قال المسبحى: وكان بمصر فى الزمن الأول مائة وخمسون كورة فى كل كورة مدينة
وثلاثمائة وستون قرية، فلما ملكها بختنصر أخربها، ثم أعيدت بعد ذلك، وصار بها خمس
وثمانون كورة، ثم إنها تناقصت حتى صارت فى دولة عمرو بن العاص أربعين كورة، وعدة
قراها ألفان وثلاثمائة وخمس وتسعون قرية دون الكفور^(٣).

وصار خراجها فى زمن عمرو بن العاص اثنى عشر ألف ألف دينار، ثم تغيرت أحوال
مصر فى دولة الإسلام إلى الغاية، وخرب غالب قراها، وانحط خراجها واستمرت تتناقص
إلى الآن^(٤).

(١) مثل هذا التعبير كان شائعاً فى عصر المؤلف، ولدى ابن رولاق ص ٧٥: «وخمسون ألفا لأسفل
الأرض» ولدى ابن ظهيرة ص ١٢٥: «وخمسون ألفا للوجه البحرى».

(٢) اختلفت المصادر فى إبرادها لهذه الأرقام فاكشفنا بما ورد فى الأصل، وكل ما ورد هنا وفى
المصادر من أرقام لا يقبله العقل - وهى أرقام تسودها المبالغة، وانظر ابن رولاق ص ٧٥ وتحفة
الناظرين ص ٣٩ - ٤٠.

(٣) تحفة الناظرين ص ٤٠.

(٤) تحفة الناظرين ص ٤٠.

ذكر ولاية مصر من قبل الخلفاء الراشدين والامويين

ثم إن عمرو بن العاص أقام على ولاية مصر حتى توفي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وتولى من بعده الإمام عثمان بن عفان رضي الله عنه، فعزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر، وولى عبد الله بن أبي السرح ^(١).

فكانت مدة ولاية عمرو بن العاص على مصر في هذه المدة ست سنين إلا شهراً، ثم عاد إلى ولاية مصر ثانياً، كما سيأتي ذكره في موضعه.

قال الكندي: إن عبد الله بن أبي السرح أخا عثمان بن عفان من الرضاعة، لما تولى على مصر رحل عنها عمرو بن العاص إلى المدينة الشريفة، واستقر بها عبد الله بن أبي السرح فجبى خراج مصر في تلك السنة أربعة عشر ألف ألف دينار، فلما وصل خراج مصر إلى المدينة الشريفة إلى الإمام عثمان نظر إلى عمرو بن العاص وقال له: لقد درت اللقحة ^(٢) بعدك يا عمرو، فقال له: نعم، ولكن أجاعت أولادها، فإن هذه الزيادة التي أخذها عبد الله بن أبي السرح إنما هي على الجماجم، فإنه أخذ من كل رأس ديناراً خارجاً عن الخراج، وحصل لأهل مصر بسبب ذلك الضرر الشامل، وهذه أول شدة نزلت بأهل مصر في مبدأ الإسلام ^(٣).

وأقام عبد الله بن أبي السرح على ولاية مصر إلى أن مات في سنة ست وثلاثين من الهجرة، قيل: إنه مات بفلسطين ودفن فيها، وكانت مدة ولايته على مصر اثنتي عشرة سنة، قيل: إنه تولى على مصر سنة خمس وعشرين من الهجرة، وتوفي في سنة ست وثلاثين ^(٤).

(١) الفضائل الباهرة ص ٢٥، تحفة الناظرين ص ٤٠ وانظر الإصابة ح ٤ ص ٦٥٣ وعبرة الفضائل الباهرة: «ولم يزل عمرو مقيماً على مصر أكثر أيام أمير المؤمنين، وقبل موته بشهر عزله عن الصعيد وولى عبد الله بن أبي السرح، وبقي على مصر بقية أيام عمر».

(٢) اللقحة: الناقة الحلوب.

(٣) تحفة الناظرين ص ٤١.

(٤) ابن ظهيرة ص ٣٠.

ثم تولى من بعده الأمير قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري في صفر سنة ست وثلاثين من الهجرة^(١)، وكان من الصحابة أقام على ولايته حتى مات ودفن بها.

ثم تولى من بعده الأمير مالك بن الحارث النخعي الأشتر، كان من الصحابة، واستمر متولياً بمصر حتى مات ودفن بها في ولاية على رضي الله عنه، وقيل: إنه مات مسموماً فبلغ ذلك علياً فحزن عليه حزناً شديداً ثم قال: لقد كان لي كما كنت لرسول الله ﷺ ^(٢).

ثم تولى من بعده الأمير محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه في رمن معاوية بن أبي سفيان في سنة سبع وثلاثين^(٣) من الهجرة، أقام بمصر حتى قُتل، وكان سبب قتله أنه كان من جملة من اجتمع على الإمام عثمان بن عفان رضي الله عنه، فلما توفي ثارت عليه الشيعة بسبب ثار الإمام عثمان، ومن جملتهم: معاوية بن حُديج، ومسلمة بن مُخلَّد، ويسر بن أبي أرطاة، وغيرهم من الشيعة الذين كانوا بالشام وجاءوا إلى مصر، فلما سمع الأمير محمد بن أبي بكر بوصولهم خرج إليهم يقاتلهم، فقاتلهم قتالاً عظيماً، وكان صغير السن شجاعاً بطلاً^(٤).

وكان معه أخوه عبد الرحمن فلانا ألا يقاتلا أهل الشيعة حتى غلبا فافترقا وتفرق العساكر الذين كانوا معهما، فانكسر الأمير محمد وهرب واختفى منهم في بعض الخرابات^(٥).

فراثة عجوز في خربة مختفياً، فقالت لهم العجوز: إذا دلتكم عليه تعطوني الأمان لأخي؟ فقالوا لها: نعم، أعطيناك الأمان ولأخيك^(٦).

وكان أخوها يسيع الفجل في مدينة الفسطاط، قال: فدلتهم العجوز على الأمير محمد^(٧).

(١) لدى الكندي في الولاة ص ٤٤: «فدخلها مستهل شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين» ومثله لدى ابن ظهيرة ص ٣٠.

(٢) الولاة ص ٤٧ - ٤٨.

(٣) في الأصل: «في رمن معاوية في سنة ثمان وثلاثين» والمثبت لدى الكندي في الولاة ص ٣٠.

(٤) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١١٥.

(٥) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١١٥.

(٦) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١١٥.

(٧) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١١٥.

فدخلوا عليه فوجدوه نائماً على وجهه هالكاً من العطش، فقال لهم: اسقوني شربة ماء، فقالوا له: لا سقى الله من سقاك - والقائل له معاوية بن حُديج - ثم قال له: أنسيت منعك الماء لعثمان بن عفان وهو محاصر في الدار؟ فقال: أكرمنى لأجل أبى بكر، فقال معاوية: لا أكرمنى الله إن أكرمتك، أنسيت ما فعلت يوم قتلة عثمان بن عفان؟ فلا أمان لك عندنا^(١).

ثم تقدم إليه معاوية بن حديج وضرب عنقه بالسيف، ثم جره برجله وطاف به في المدينة، ثم أدخل جثته في جوف حمار ميت ثم أحرقه حتى صار فحمًا أسود، وكانت قتلته في رابع عشر صفر سنة ثمان وثلاثين من الهجرة، وكانت مدة ولايته على مصر خمسة أشهر، وكان له من العمر حين قتل ثمان وعشرون سنة^(٢).

وكان مولده في عام حجة الوداع، وتوفي أبو بكر وله من العمر نحو ستين ونصف. قيل: لما قُتل الأمير محمد بن أبى بكر أخذ رأسه وجثته خادماً الزمام، ودفن ذلك خارج مدينة القسطنطين وبني له مسجداً يسمى مسجد الزمام، يزوره الناس وهو باقٍ إلى الآن^(٣).

قال الكندي: لما قتل الأمير محمد بن أبى بكر أخذ معاوية بن حديج قميصه الذى قتل فيه وهو ملطخ بدمه، فأرسله إلى المدينة الشريفة إلى دار الإمام عثمان بن عفان، فلما وصل القميص اجتمعوا عصابة عثمان بن عفان وأظهرو الفرح والسرور في ذلك اليوم^(٤).

ثم إن نائلة زوجة عثمان لبست القميص ورقصت به بين الرجال^(٥).

وقيل: إن أخت معاوية بن حُديج لما وصل قميص الأمير محمد بن أبى بكر أرسلته إلى عائشة بنت أبى بكر ومعه خروف مشوى، فقالت لها: إن أخاك شوى مثل هذا

(١) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١١٥.

(٢) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١١٥.

(٣) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١١٦.

(٤) الولاة ص ٥٣.

(٥) الولاة ص ٥٤.

الخروف، فحلفت عائشة يمينًا أنها لا تأكل لحماً مشويًا حتى تلقى الله تعالى، ولم تأكله أبدًا بعد ذلك اليوم^(١).

وقيل: دخل نساء المدينة على أسماء بنت عميس، أم الأمير محمد بن أبي بكر رضي الله عنه، فقلن لها: إن ابنك قُتل بمصر وأحرقوه في جوف حمار ميت، وكانت قائمة تصلى، فعضت شفتيها حتى نشحت ثديها دمًا من شدة أسفها عليه^(٢).

ثم تولى من بعده عمرو بن العاص رضي الله عنه ثانيًا، ولاه معاوية بن أبي سفيان في سنة ثمان وثلاثين من الهجرة، واستمر متوليًا حتى مرض وتسلل مرضه، فلما أشرف على الموت أحضر ما كان جمعه من المال وقال لولده عبد الله، وكان ولده يقاربه في السن، قيل: كان أبوه أكبر منه بثلاث عشرة سنة، فقال له: إذا أنا مت فاردد هذا المال إلى أربابه.

قيل: لما مات عمرو بن العاص أرسل معاوية بن أبي سفيان إلى عبد الله وهو يقول له: أين المال الذي جمعه أبوك، أرسله لنا، فأرسله عبد الله بتمامه وكمال، فأخذه معاوية ووضعه في بيت المال لدفع العدو، فقيل لعبد الله: كم كان قدر ذلك المال؟ قال: كان قدره سبعين جريبًا من جلد الأبقار^(٣).

وكانت وفاة عمرو بن العاص ليلة عيد الفطر سنة ثلاث وأربعين من الهجرة، فلما كان يوم الفطر أخرج نعشه إلى الجامع حتى تكامل الناس وصلوا عليه بعد صلاة العيد، ثم دُفن في مقابر القسطاط على طريق الحاج، رحمة الله عليه، وله من العمر خمس وتسعون سنة^(٤).

وكانت مدة ولايته الثانية نحو ست سنين إلا شهرًا^(٥).

ثم تولى من بعده عتبة بن أبي سفيان، أخو أمير المؤمنين معاوية، فلما تولى على مصر أقام بها مدة يسيرة دون السنة، ومات ودُفن بمصر^(٦).

(١) الولاة ص ٥٣

(٢) الولاة ص ٥٤.

(٣) الخطط ج ١ ص ٣٠١.

(٤) لدى ابن حجر في الإصابة ج ٤ ص ٦٥٣: عاش نحو تسعين سنة وقيل تسع وتسعون.

ولدى السيوطي في حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢٤: تسعون سنة وقيل مائة سنة.

(٥) الإصابة ج ٤ ص ٦٥٣، الفضائل الباهرة ص ٣٠.

(٦) الفضائل الباهرة ص ٣٠.

ثم تولى من بعده الأمير عقبة بن عامر الجهنى، صاحب رسول الله ﷺ ورفيقه، وهو الذى تسند إليه الأحاديث، تولى مصر سنة أربع وأربعين من الهجرة، وأقام بمصر حتى مات، رحمه الله، يوم النهروان ومات شهيداً، فكانت مدة ولايته على مصر ستين وثلاثة أشهر، وكانت وفاته سنة سبع وأربعين من الهجرة، ودفن بالقرافة الكبرى، وقبره يزار إلى الآن^(١).

ثم تولى من بعده الأمير عبد الرحمن، واستمر حتى مات.

ثم تولى من بعده الأمير سعيد بن يزيد بن علقمة الأردى، تولى على مصر سنة اثنتين وستين من الهجرة، فكانت مدة ولايته ستين إلا شهراً^(٢).

ثم تولى من بعده الأمير عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم، ولاه عبد الله بن الزبير سنة أربع وستين من الهجرة، فلم تطل أيامه بمصر، ثم عزل عنها^(٣).

ثم تولى من بعده الأمير عبد العزيز بن مروان على مصر، ووقع بها الطاعون فرحل عبد العزيز من مدينة الفسطاط وتوجه إلى حلوان، لما يحدث فى البلد من أمر الموت، ومن يموت، وغير ذلك من الأخبار، فلم يزل عبد العزيز مقيماً بحلوان حتى طعن ومات بها، ثم حملوه فى نعش وجاءوا به إلى مصر، وقد تغيرت رائحته، وجعلوا حول النعش مجامر البخور مطلوقة، حتى دخلوا به إلى مدينة الفسطاط فدفن بها^(٤).

ولما كان عبد العزيز بحلوان كان له فى كل ليلة ألف جفنة تُصَفُّ حول داره ملائكة بالطعام تُفرَّق على الفقراء والمساكين، وجراية الخبز، وألف حلة طعام تحمل على عجل تفرق على قبائل العرب، واستمر ذلك حتى مات، رحمة الله تعالى عليه^(٥).

ثم تولى من بعده الأمير عبد الله بن عبد الملك بن مروان فى سنة ست وثمانين من الهجرة، وكانت مدة ولايته ثلاث سنين وعشرة أشهر^(٦).

(١) الولاة ص ٥٩، الخطط ج ١ ص ٣٠١.

(٢) الولاة ٦٣.

(٣) الولاة ص ٦٤.

(٤) الولاة ص ٧١، ٧٦، الخطط ج ١ ص ٢١٠، ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٢٢.

(٥) الولاة ص ٧٣، الخطط ج ١ ص ٢١٠، ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٢٢.

(٦) فى الأصل: «خمس سنين» والمثبت رواية الكندى ص ٨٤.

ثم تولى من بعده الأمير قرة بن شريك العبسى فى سنة تسعين من الهجرة، وكانت ولاية قرة عليها ست سنين وأياماً^(١).

ثم تولى من بعده عبد الملك بن رفاعة الفهمى، تولى على مصر مرتين، فطالت أيامه حتى مات ودُفن بها^(٢).

ثم تولى من بعده الأمير أيوب بن شرحبيل الأصبهى فى ربيع الاول سنة تسع وتسعين^(٣) فى خلافة عمر بن عبد العزيز، وظل والياً بها حتى سنة ١٠١هـ^(٤).

ثم تولى من بعده بشر بن صفوان، وهو الذى نقل بنى قيس إلى مصر فى سنة مائة وثمان وعشرين فى خلافة مروان^(٥).

ثم تولى من بعده الأمير محمد بن عبد الملك بن مروان^(٦).

ثم تولى من بعده الأمير حفص بن الوليد العامرى.

ثم تولى من بعده الأمير عبد الملك بن رفاعة.

ثم تولى من بعده الأمير عبد الرحمن بن خالد.

ثم تولى من بعده الأمير حسان بن عتاهية التجيبى.

ثم تولى من بعده الأمير حوثة بن سهيل الباهلى، كان رجلاً من العرب حليماً قليل الغضب، قيل: إن رجلاً من العرب دخل عليه وهو قائم يريد الدخول إلى حريمه، قال: فلما رأى الرجل وقف له لينظر ما حاجته، فوضع الأعرابى نصل سيفه على طرف رجل الأمير حوثة، وهو لا يشعر، واستمر يسجع كلامه حتى سال الدم من رجل الأمير حوثة،

(١) فى الأصل: «فلم تطل أيامه وعزل عنها، تحريف صوابه لدى الكندى فى الولاة ص ٨٦.

والمقرئى فى الخطط ج ١ ص ٣٠٢ وعبارته: «ثم مات وهو وال سنة ست وتسعين».

(٢) الولاة ص ٨٧، الخطط ج ١ ص ٣٠٢.

(٣) فى الأصل: «فى سنة إحدى ومائة» والمثبت رواية الكندى.

(٤) الولاة ص ٩٠ وعبارته: «وتوفى عمر بن عبد العزيز لخمس بقين من رجب سنة إحدى ومائة، واستخلف يزيد بن عبد الملك فأقر أيوب بن شرحبيل على صلاتها إلى أن توفى لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة إحدى ومائة» ورواية والأصل: «ثم تولى... فى سنة ١٠١ فى خلافة عمر بن عبد العزيز أقام بها سنة ثم عزل» وما فى الأصل تحريف.

(٥) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٢٧.

(٦) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٢٧.

فلما فرغ الأعرابي من كلامه انصرف فطلب الأمير حوثة منديلا ومسح به رجله من ذلك الدم، فقيل له: يا أمير، لاى شىء سكت للأعرابي حتى فعل بك هذا؟ قال: خفت أن أقطع عليه كلامه فيستحيى منى ولا تقضى حاجته^(١).

ثم تولى من بعده الأمير عبد الحميد بن المغيرة الفزارى نحو ستين، وعزل عن مصر بعد أن حصل فى أيامه غلاء عظيم، حتى أنه رهن حلى نسائه عند التجار، واشترى به قمحا وفرقه على الفقراء والمساكين، فلما عزل وقفوا عليه التجار وطلبوا منه المبلغ الذى اقترضه منهم، وقدره عشرة آلاف دينار، فأمر ببيع الرهن فباعوه واستوفوا حقوقهم، ورحل عن مصر والناس عنه راضون^(٢).

ثم تولى من بعده الأمير عبيد الله بن مروان، وهو آخر من تولى على مصر من بنى أمية رضى الله عنه وعنهم.

قال ابن وصيف شاه: لما انتقلت الخلافة إلى بنى العباس تولى السفاح، ثم توجه عبد الله بن العباس إلى الشام فى طلب من بقى من بنى أمية، ثم أرسل بالقبض على عبيد الله ابن مروان، أمير مصر.

فلما بلغ الأمير عبيد الله^(٣) ذلك دخل إلى خزائن أمواله وأخذ منها عشرة آلاف دينار، واثنى عشر بغلا فرشا وقماشاً، وغير ذلك، ثم حمل معه خريطة ملائمة جواهر ثمينة، وأخذ معه عبيده وغلمانه، وخرج من مصر هارباً قاصداً إلى بلاد النوبة^(٤).

فلما وصل إلى بلاد النوبة وجدها مدائن خراباً لها قصور محكمة، فتزل فى بعض تلك القصور، وأمر عبيده وغلمانه أن يكنسوها فكنسوها وفرش فيها من تلك الفرش، ثم

(١) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٢٩.

(٢) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٢٩، ١٣٠.

(٣) لدى ابن عساكر فى مختصر ابن منظور ج ١٥ ص ٣٦٥: «عبيد الله بن مروان كان ولى عهد أبيه مروان بن محمد وهو الداخلى إلى بلاد النوبة، وقيل إن الذى حكى هذه الحكاية عبد الله أخوه، وعبيد الله قتله النوبة».

وفى التنبيه والإشراف ص ٨٥ «أن عبيد الله هلك عطشا أثناء هروبه بعد قتل أبيه. ووقع عبد الله فى عدة ممن نجوا معه إلى ... أرض البجة».

(٤) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٣١.

أمر بعض غلمانه ممن يثق بعقله أن يذهب إلى ملك النوبة ويستأذنه فى الإقامة فى ملكه ويؤمته^(١).

فلما توجه الغلام إلى الملك اجتمع به وسلّم عليه، ثم استأذنه فى الإقامة فى ملكه وأخذ منه الأمان للأمير عبيد الله، ثم أرسل قاصداً، فلما حضر القاصد قال للأمير عبيد الله: إن الملك يقرئك السلام ويقول لك: أجنّت محارباً أم مستجيراً؟ فقال له: رد عليه السلام وقل له: جاء إليك مستجيراً من عدوّ يريد قتله^(٢).

فلما توجه القاصد إلى الملك وذكر له ذلك قام وهمّ إليه بالحضور، فلما حضر الملك قام إليه الأمير عبيد الله ونزل له من مرتبته وأمر له بالجلوس عليها فامتنع الملك من ذلك، ودفعها برجله ثم قال له: كل ملك لا يكون متواضعاً لله فهو جبار عنيد متكبر^(٣).

ثم جلس ينكت فى الأرض طويلاً ثم قال له: كيف سلّبتكم ملككم وأخذ منكم، وأنتم أقرب الناس إلى نبيكم؟ فقال له: إن الذى سلب ملكنا منا هو أقرب منا إلى نبينا^(٤).

فقال له: كيف تخالفون قول نبيكم وتشربون ما حرم عليكم من الخمر ولبس الحرير وتركبون السروج المذهبة ولم يفعل نبيكم شيئاً من ذلك؟.

وقد بلغنا أنك لما كنت متولياً على مصر كنت تخرج إلى الصيد فتكلف أهل القرى ما لا يطيقون وتفسدون الزرع على أصحابه، وتأخذون من أهل القرى الهدايا^(٥).

فصار ملك النوبة يعد للأمير عبيد الله ذنوباً كثيرة، وهو ساكت لا يتكلم، ثم قال: لَمَّا استحللتكم ما حرم الله عليكم أوجب عليكم النعمة، وأنا أخاف على نفسى النعمة بسببك إن أنزلتك عندى فتحل بى النعمة، فإن الرحمة مختصة والبلاء عام، ارحل عنى بعد ثلاثة أيام، وإن لم ترحل وإلا أخذت جميع ما معك وقتلتك أشد قتلة^(٦).

(١) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٣١.

(٢) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٣١.

(٣) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٣٢.

(٤) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٣٢.

(٥) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٣٢.

(٦) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٣٢ - ١٣٣.

فلما سمع الأمير عبيد الله^(١) مقاتله خرج من يومه من أرض النوبة ورجع إلى مصر، فقبض عليه عمال الخليفة الملك المنصور العباسى وبعثوه إلى بغداد، فسجنه الملك المنصور حتى مات فى السجن^(٢).

وهو آخر من تولى فى مصر من العمال فى دولة الخلفاء الاموية [الذين كانوا فى دمشق، فلما انقرضت دولتهم وابتدأت دولة بنى العباس فتولى فى أيامهم جماعة كثيرة أكثر ممن تولى فى الدولة الاموية].

وكانوا يسمون عمال الخراج بمصر، وكانت الخلفاء تشترط على عمالهم فى تقاليدهم الخيول العربية والاثواب الدبيقية بينهن والمقاطع الشرب الإسكندرانية والطرز الصعيدية، وأجلال الخيل، وعسل نحل بنها، والبغال والحمير، والأصناف التى لا توجد إلا بمصر^(٣).

(١) لدى المسعودى: «عبد الله».

(٢) المسعودى: التنبيه والإشراف ص ٣٢٩ - ٣٣٠ ولديه: «فَقَطَّرَ بَعْدَ اللَّهِ أَيَّامَ أَبِي الْعَبَّاسِ الْفَتْاحِ فَأَوْدَعَ السِّجْنَ فَلَمْ يَزَلْ فِيهِ بَقِيَّةُ أَيَّامِ أَبِي الْعَبَّاسِ وَالْمَنْصُورِ وَالْمَهْدِيِّ وَالْهَادِي، فَأَخْرَجَهُ الرَّشِيدُ وَهُوَ شَيْخٌ ضَرِيرٌ، فَسَأَلَهُ عَنْ خَيْرِهِ؟ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، حُبَسْتُ غُلَامًا بِصِيرًا، وَأَخْرَجْتُ شَيْخًا ضَرِيرًا! فَقِيلَ إِنَّهُ هَلَكَ فِي أَيَّامِ الرَّشِيدِ، وَقِيلَ بَلْ فِي أَيَّامِ الْأَمِينِ، وَنَظَرَ فِي ذَلِكَ أَيْضًا: ابْنُ إِبَّاسٍ ج ١ ق ١٣٣.

(٣) النص فيه تحريف وسقط فى الأصل، وقد اعتمدنا فى تكملة النص وتصويبه على ما ورد لدى ابن إياس فى جواهر السلوك ورقة ٤، وانظر فى ذلك أيضًا بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٥٨.

obeikandi.com

[ذكر من تولى مصر من الأمراء العباسية]

فكان أول من تولى مصر فى دولة الخلفاء العباسية الأمير صالح بن على العباسى^(١) سنة ثلاث وثلاثين ومائة من الهجرة، تولى مصر مرتين.
ثم تولى من بعده الأمير أبو عون عبد الملك الأردى.
ثم تولى من بعده الأمير موسى بن كعب بن عيينة، سنة إحدى وأربعين ومائة.
ثم تولى من بعده الأمير محمد بن الأشعث الخزاعى وعُزل.
ثم تولى من بعده حميد بن قحطبة وعزل، ثم تولى من بعده يزيد بن حاتم المهلبى فى سنة سبع وأربعين ومائة، وحصل فى أيامه غلاء عظيم بسبب عدم زيادة النيل، وشرقت الاراضى وانتهت زيادة النيل إلى ستة عشر ذراعاً، ثم مات.
وتولى من بعده الأمير عبد الله بن عبد الرحمن، ثم مات.
وتولى من بعده الأمير محمد، أخو عبد الرحمن، ثم مات.
وتولى الأمير موسى بن على، وعُزل.
ثم تولى من بعده الأمير واضح المنصورى.
ثم تولى من بعده الأمير منصور بن يزيد.
ثم تولى من بعده الأمير يحيى بن داود، أيام المهدي.
ثم تولى من بعده الأمير سالم بن سودة، فى أيام المهدي.
ثم تولى من بعده الأمير إبراهيم بن صالح العباسى، وكان الرشيد روجه ينته فلم يستقم حاله فعزله الرشيد^(٢).

(١) انظر فى صالح بن على ومن بعده: الولاة ص ١١٩ وما بعدها.

(٢) كانت ولايته الاولى من قبل المهدي، والثانية من قبل الرشيد، الولاة ص ١٤٧، ١٥٩ ولدى المقرئى فى المقفى ج ١ ص ١٧٩ فلما قام بالخلافة هارون الرشيد أمره أن يشتري له جاريتين فاشترهما على ما وصف له الرشيد، واتخذهما لنفسه، فلما بلغ ذلك الرشيد عته أمر بخلق رأسه وعزله.

ثم تولى من بعده الأمير موسى بن مصعب.

ثم تولى من بعده الأمير عسامة بن عمرو.

ثم تولى من بعده الأمير الفضل بن صالح العباسي.

ثم تولى من بعده الأمير علي بن سليمان العباسي.

ثم تولى من بعده الأمير موسى بن عيسى العباسي.

ثم تولى من بعده الأمير مسلمة بن يحيى الأحمسي.

ثم تولى من بعده الأمير محمد بن زهير الازدي.

ثم تولى من بعده الأمير داود بن يزيد المهلبى.

ثم تولى من بعده إبراهيم بن صالح العباسي سنة ست وسبعين ومائة، ومات ودفن بالقرافة^(١).

وتوفى الإمام الليث بن سعد فى أيامه، ودفن بالقرافة فى سنة خمس وسبعين ومائة يوم الجمعة رابع عشر شهر شعبان من السنة المذكورة^(٢).

ثم تولى من بعده الأمير عبد الله بن المسيب الضبي.

ثم تولى من بعده الأمير إسحاق بن سليمان العباسي.

ثم تولى من بعده الأمير عبيد الله بن الخليفة المهدي العباسي، ثم عُزل.

ثم تولى من بعده الليث بن الفضل الأسدي وعُزل.

ثم تولى من بعده الأمير مالك بن دلهم الكلبي وعُزل.

ثم تولى من بعده الأمير الحسن بن التختاخ وعُزل.

ثم تولى من بعده الأمير حاتم بن هرثمة وعُزل.

ثم تولى من بعده الأمير جابر بن الأشعث الطائي وعُزل.

ثم تولى من بعده عباد بن محمد وعُزل.

(١) الولاة ص ١٥٩ - ١٦٠.

(٢) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٣٧.

ثم تولى من بعده المطلب بن عبد الله الخزاعي وعُزِّل^(١).

ثم تولى من بعده السري بن الحكم وعُزِّل.

ثم تولى من بعده الأمير عبد الله بن طاهر الخزاعي، كان من حذاق عمال مصر، وهو الذى نقل إلى مصر ذريعة البطيخ العبد لاوى سنة مائتين من الهجرة، ولم يكن فى مصر شىء منه، وهو الذى أظهره، ونسب إليه، تولى على مصر سنة إحدى ومائتين، ومات ودُفِن بمصر^(٢).

ثم تولى من بعده ولده محمد على مصر.

وفى أيامه توفى الإمام محمد بن إدريس الشافعى رحمته الله، ودُفِن بالقرافة تجاه تربة القاضى بكار فى ليلة الجمعة سلخ شهر رجب الفرد، سنة أربع ومائتين من الهجرة، وكان مولده بمدينة غزة سنة خمسين ومائة، وهى السنة التى توفى فيها الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان، رحمه الله^(٣).

قيل: لما مرض الإمام الشافعى أوصى أن لا يغسله إلا الأمير محمد أمير البلد، فلما مات أخبروا الأمير محمداً بوصيته رحمته الله، فقام من وقته وساعته وحضر إلى عنده، وقال: هل عليه دين؟ فقل له: نعم، سبعين ألف درهم، فدفع ذلك عنه، وقال: هذا غسلى إياه، إنما عنى بالغسل قضاء الدين^(٤).

وأوصى رحمته الله أنه إذا مات تصلى عليه السيدة نفيسة، فحُمِلَ إلى عندها وجُعِلَتْ لها ستارة وصلت عليه، ثم حُمِلَ من عندها ودُفِنَ فى تربته فى أيام ولاية الخليفة المأمون^(٥).

وأما نسبه رحمته الله فإنه متصل بأجداد النبى صلوات الله عليه، فهو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف جد النبى صلوات الله عليه^(٦).

(١) أقحم بعدها فى الأصل خبر خاص بالقاضى بكار بن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٥ وليس مكانه هنا.

(٢) الخطط ج ١ ص ٣١١، الفضائل الباهرة ص ٣٧، ١٤١ هامش ٤.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٤٣، ١٤٥.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٤٥.

(٥) ابن رياس ج ١ ق ١ ص ١٤٥.

(٦) ابن رياس ج ١ ق ١ ص ١٤٣.

وأمة فاطمة بنت عبد الله بن الحسن بن الحسين عليه السلام (١).

وقد رأت أمه في منامها وهي حامل به، أنه خرج من بطنها نجم له ضوء عظيم فسقط بأرض مصر، ثم طارت منه شظايا فانتشرت في سائر الآفاق، فقصت هذه الرؤيا على بعض المعبرين فقال: سيخرج من بطنك مولود ويكون من أكابر العلماء، ويختص بعلمه أهل مصر، دون غيرها من البلاد، ثم ينتشر بعد ذلك في سائر البلاد (٢).

وكان الإمام عليه السلام حسن الخلق، قليل الغضب، سخي النفس، عاصر الإمام أحمد بن حنبل (٣).

ثم تولى من بعده عبيد الله بن السرى سنة ست ومائتين (٤).

وفى أيامه توفيت السيدة نفيسة عليها السلام في شهر رمضان سنة ثمان ومائتين (٥) ودُفنت بالمراغة، وكانت لها كرامات خارقة وأسرار صادقة، قيل: إن النيل توقف في أيامها ولم يزد شيئاً فأرسلت قناعها وغسلوه فيه فزاد في ليلة ستة عشر ذراعاً (٦)، ولم يقع طاعون بمصر في زمن الشافعي ولا في أيامها عليها السلام.

وقد قرأ عليها الإمام الشافعي الحديث، هكذا ذكره شمس الدين بن خلكان في تاريخه (٧).

والسيدة نفيسة بنت الأمير الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام (٨).

روجة إسحاق بن جعفر الصادق، جاءت إلى مصر مع زوجها وابنها وأولادها (٩)،

(١) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٤٣.

(٢) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٤٣.

(٣) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٤٤.

(٤) الولاة ص ١٩٨.

(٥) ابن خلكان ج ٥ ص ٤٢٤.

(٦) تحفة الأحباب ص ١٠٩.

(٧) وفيات الأعيان ج ٥ ص ٤٢٤.

(٨) ابن خلكان ج ٥ ص ٤٢٣.

(٩) ابن خلكان ج ٥ ص ٤٢٣.

وماتت ولها من العمر ما ينيف عن سبعين سنة^(١) في أيام الأمير عيسى بن منصور الرافقى، وفي أيامه خرجوا أهل مصر عن طاعة الخليفة المأمون وامتنعوا عن وزن الخراج وطرّدوا العمال عن البلاد، وصارت فتنة عظيمة بمصر، حتى كادت تخرب، حتى قدم الخليفة المأمون إلى مصر فهدأت البلاد، وعزل عيسى بن منصور الرافقى عن مصر.

ثم تولى من بعده الأمير نصر السعدى، ثم تولى من بعده ولده المظفر.

ثم تولى من بعده موسى بن أبى العباس ثم تولى الأمير موسى بن على ثم تولى من بعده على يحيى، وتولى من بعده مالك بن كيدر.

ثم تولى من بعده عبّسة بن إسحاق بن شمر أبو جابر [الضبى] وفي أيامه هجموا بنو الأصفر^(٢) على ثغر دميّاط، ونهبوا المدينة، وقتلوا جماعة من أهلها^(٣).

ثم جاء الخبر إلى الأمير عبّسة يوم عيد النحر فنادى بالنفير عامة، فخرجوا أهل الفسطاط، وتوجهوا جميعاً إلى ثغر دميّاط صحبة الأمير عبّسة، فحاربهم وقتلهم وانتصر عليهم، وأسر منهم جماعة^(٤).

ثم رجع إلى مصر فأقام بها مدة ومات، ودُفن بها، رحمه الله^(٥).

ثم تولى من بعده الأمير يزيد التركى، وكان من الموالى، تولى أيام الخليفة المتوكل جعفر الذى بنى المقياس فى جزيرة الفسطاط، وأبطل المقياس الذى بناه أسامة بن زيد التنوخى فى أيام خلفاء بنى أمية، وصار العمل على هذا المقياس، وكان بناؤه فى سنة سبع وأربعين ومائتين^(٦).

ثم تولى من بعده الأمير محفوظ بن سليمان^(٧) ثم تبقى عليه من خراج مصر فى أيام

(١) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٤٦.

(٢) بنو الأصفر: الروم، وانظر الولاة ص ٢٧٧.

(٣) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٥٣، وما بين حاصرتين منه.

(٤) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٥٣.

(٥) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٥٣.

(٦) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٥٣ - ١٥٤.

(٧) محفوظ بن سليمان (المتوفى سنة ٢٥٤ هـ) عامل خراج مصر فى عهد الرشيد هارون، ولاء سنة

١٨٧ هـ، ثم عزله، وأعيد فى عهد المتوكل.

الخليفة المتوكل ثلاثمائة ألف دينار، فلما بلغ الخليفة ذلك أرسل إليه وطلبه وأحضره بين يديه فى الحديد وهو فى غاية الوهم، وكان الخليفة قد فرغ من صلاة الفجر وفى يده درج^(١) مكتوب [بماء] بالذهب، فلما رآه قال له: من أنت؟ فقال له: أنا عبدك محفوظ بن سليمان، قال: ويحك، فى أى ساعة حضرت ودخلت؟ فقال: فى ساعة خير، فقال: هل تعرف ما هو مكتوب فى هذا؟ فقال: لا والله، قال: هذا من كتب دانيال، عليه السلام، يقول الله تعالى: عند تنهاى شدتى يكون فرجى، وعند نزول بلائى يكون رجائى، وفى مثلى فليطمع الطامعون يا محفوظ، اذهب فقد وهبت لك ما عليك من الخراج ووليتك مصر ثانيًا، فامض راشداً^(٢).

وفك قيده وأخلعه خلعة سنية، وفرح فرحاً شديداً، ثم إنه استمر متولياً حتى مات، ودُفن بمصر.

ثم تولى من بعده الأمير أحمد بن محمد بن المدبر، وكان ظالماً، أحدث مظالم كثيرة، كانت سبباً للخراب حتى مات^(٣).

(١) الدرّج - بسكون الراء - وفتحها - الذى يكتب فيه.

(٢) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٥٨، وما بين حاصرتين منه.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٥٩.

ذكر أخبار دولة الأمير أحمد بن طولون

ثم تولى من بعده الأمير أحمد بن طولون^(١)، كان بطلاً شجاعاً، عالى المهمة، سعيد الحركات، تولى من قبل المعترز سنة أربع وخمسين ومائتين^(٢).

وكان ضيق الحال، فلما وصل إلى مصر خرج له شخص من الأعيان يسمى على بن معبد البغدادى ومعه عشرة آلاف دينار أهداها إليه لما رأى من ضيق حاله^(٣)، فوقع لذلك موقعاً عظيماً عنده وصار أعز جلسائه، فكان الأمير أحمد بن طولون لا يتصرف فى شيء من الأشياء حتى يستشير فيه^(٤).

ثم إنه أخذ فى عمارة ما خرب فى مصر من القرى والجسور والقناطر، وحفر الخللجان وسد الترغ واستقامت أحوال مصر بعد أن آلت إلى الخراب^(٥).

فلما حصلت العمارة والعدل حصل الرخاء والأمن حتى أبيع القمح فى أيامه كل عشرة أراذب بدينار، وعلى هذا فقس، وزاد الخراج أربعة أمثاله، فكان جملة ما تحصل من الخراج غير المكوس أكثر من أربعة آلاف دينار وثلاثمائة ألف دينار^(٦).

واشتري له أربعة آلاف مملوك وأربعين ألف عبد أسود، ومن الغلمان سبعة آلاف غلام.

(١) انظر فى أحمد بن طولون: وفيات الأعيان ج ١ ص ١٧٣، الخطط ج ١ ص ٣١٣ وأخباره فى كتب التواريخ العامة، وسيرة أحمد بن طولون للبلوى، والمغرب (قسم مصر) وابن إياس ج ١ ص ١٦١.

(٢) فى الأصل: «تولى فى آخر خلافة المتوكل سنة ٢٥٥ هـ والمتوكل توفى سنة ٢٤٧ هـ والمثبت رواية الكندى فى الولاة ص ٢٣٩.

(٣) رواية المقرئى فى الخطط ج ١ ص ٣١٤: «ولما تسلم أحمد بن طولون مصر كان على الخراج أحمد بن المدبر فأهدى إلى أحمد بن طولون هدايا قيمتها عشرة آلاف دينار بعدما خرج إلى لقاءه... والخبر لدى ابن إياس بالنص ج ١ ق ١ ص ١٦١.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٦١.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٦١.

(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٦١.

ثم سطا على الخلفاء وادعى الخلافة لنفسه وانفرد بالخراج، وحاربه الخليفة المعتر بالله أشد المحاربة، فلم يقدر عليه، فخضع له وتركه.

ثم إن الأمير أحمد أرسل من بعد ذا يخطب ابنته واسمها قطر الندى، أصدقها مائة ألف دينار ثم توجهت إليه، وكان لها فرح عظيم، فدخل عليها وأحبها حباً شديداً، وأقامت معه حتى ماتت^(١).

قال ابن وصيف شاه: خرج الأمير أحمد بن طولون يوماً للترفة نحو الأهرام فغاصت قوائم فرسه في الأرض، فأمر بكشف الأرض فكشف له عن مطلب ملآن ذهباً أحمر، فنقل إلى خزانته على ظهور الجمال^(٢).

ثم أخذ في بناء جامع المسمى به، أصرف عليه أكثر من مائة ألف دينار ووضع أساسه على جبل يشكر، وكان هذا الجبل يشرف على بحر النيل وليس بينه وبين النيل شيء، وكان يشرف على البركتين، أعنى بركة الفيل، والبركة التي تعرف اليوم ببركة قارون، والجبل جبل مبارك، كان موسى، عليه السلام، يناجي ربه عليه، وهو مستجاب الدعاء فيه، فإن النمل اجتمع هناك وخط خطاً فوضعوا عليه محراب الجامع، وسمى بمحراب النمل^(٣).

ثم لما بناه رتب له رواتب خيرات وأرزاقاً وفقهاء، وعلماء ومدرسين وغيرهم، وجعل لهم طعاماً وخيرات وخبزاً وحلواء، وجعل بإزائه بيمارستاناً للضعفاء، ولم يكن قبل ذلك بمارستان للضعفاء.

وجملة مصروفه في كل يوم ألف ومائتا دينار، وكان يرسل في كل سنة إلى فقراء بغداد صدقة كبيرة، وكسوة الشتاء والصيف.

قال الشيخ أبو الحسن بن حماد، من أكابر العلماء: كنت راقداً ليلة من الليالي وإذا أنا

(١) ماتت قطر الندى لتسع خلون من رجل سنة سبع وثمانين ومائتين ودفنت داخل قصر الرصافة ببغداد، ومات المعتضد سنة ٢٨٩ هـ.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٦٢.

(٣) النص فيه اضطراب في الأصل، والمثبت اعتماداً على ما ورد لدى المقرئ في الخط ج ١ ص ١٢٥، وانظر لذلك أيضاً: الروضة البهية لابن عبد الظاهر ص ٨١، حسن المحاضرة ج ١ ص ١٤٢.

بالباب يطرق فنظرت من الطارق، وإذا برجال معهم مشاعل فقلت لهم: من تريدون؟ فقالوا: نريدك تمضى معنا إلى الأمير أحمد بن طولون فإنه طلبك فى هذه الساعة، فأرتعدت فرائضى ونزلت معهم وسرت معهم إليه، فلما وصلت إلى حاجب الباب سلمت عليه فقال لى: ادخل وأسرع فى المشى، فدخلت وسلمت، فإذا هو نائم على ظهره فى قبة لطيفة، وبين يديه شمعتان، فوقفت طويلاً، ثم قال لى: أبو الحسن؟ فقلت: نعم، قال: اجلس، فجلست فقال: لآى شىء تصلح هذه القبة؟ وهى قبة لطيفة، فقلت: تصلح للذكر وقراءة القرآن ومطالعة العلم ومنادمة المحبين^(١).

ثم تبسم وقال لى: ما تقول فيمن سلط على شىء هل يعذب؟ ففهمت أن المسألة متعلقة بى، فقلت له: يا أمير المؤمنين لو كان كل شىء يسلط معذباً لكان ملك الموت أشد الناس عذاباً يوم القيامة^(٢).

ثم سكت وقال: انصرف، فانصرفت إلى منزلى وأنا أرعد من الخوف، فلما وصلت وإذا أنا بحاجبه معه كيس فيه مائة دينار، فقال لى: الأمير أحمد أرسل لك هذا الفتح تسكن به روعك^(٣).

فإنه كان سريع الغضب سفاكاً للدماء.

وكان راتب مطبخه فى كل يوم ألف دينار تصرف على احتياج الطعام والحلواء والسكر والشمع وغير ذلك^(٤).

وكان منتهى حكمه من مصر إلى الفرات، ثم من مصر إلى الغرب^(٥).

قيل: وكان بالمطرية - وكان اسمها قديماً عين شمس - صنم من الحجر الأبيض الكذّان^(٦) على هيئة الرجل استحكمته الكهنة، فقصد الأمير أحمد بن طولون التوجه إليه

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٦٥.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٦٦.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٦٦.

(٤) المقفى ج ١ ص ٤٢٩، بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٦٧.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٦٨.

(٦) الكذّان: حجارة فيها رخاوة، وربما كانت نخرة.

لينظره فمنعه من ذلك أكابر البلد، وقالوا له: لا تتوجه إليه، فكل من توجه إليه من أهل الحكم عزل من منصبه في سنته، فلم ينته عن ذلك^(١).

ثم توجه فلما رآه أمر بإزالته وأحضر القطاعين فكسروه قطعاً قطعاً، فلم يقم الأمير أحمد بن طولون بعد كسر الصنم غير عشرة شهور.

ومرض مرضاً شديداً حتى خرج المسلمون بالمصاحف على رؤوسهم، واليهود بالتوراة على رؤوسهم، والنصارى بالإنجيل على رؤوسهم، والأطفال بالألواح على رؤوسهم، وعامة الناس يبكون ويتضرعون بالدعاء إلى الله تعالى بالسلامة والعافية للأمير أحمد بن طولون، واستمر مريضاً حتى مات، رحمة الله تعالى عليه، في سنة سبعين ومائتين^(٢)، ومدة ولايته بمصر ست عشرة سنة^(٣).

وكان يقول وهو مريض: يارب ارحم من جهل مقدار نفسه وغره حلمك يا أرحم الراحمين.

فإنه كان عادلاً في الرعية كريماً منقاداً للشرع، يحب العلماء والصلحاء، ويحب فعل الخيرات، ويصلى على أموات المسلمين، ويحضر دفنهم غنياً كان أو فقيراً، وله اشتغال بالعلم وطلب الحديث.

نافذ الكلمة وافر الحرمة، خيروه على خلفاء بغداد ليس فيه عيب سوى سفك الدماء، سريع الغضب سيئ الخلق، مات في حبسه ثمانية عشر ألف إنسان^(٤).

ولما مات دفن قريباً من باب القرافة، فكان شيخ يقرأ القرآن على قبره ثم يرتل القرآن، فبعد ذلك ترك القراءة فسئل عن ذلك فقال: رأيته في المنام فقال لى: يا فلان، أسألك أن لا تقرأ على قبري بعد هذا اليوم شيئاً، فإني لما تقرأ آية أسمعها منك، يقال لى: أما اطلعت على هذه الآية في الدنيا؟ فلم لا عملت بها، وما رأيت يا فلان أشد على

(١) الخطط ج ١ ص ٢٣٠ ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٦٧.

(٢) فى الأصل: «تسع وستين والمثبت رواية القضاء فى تاريخه ص ٤٧٧ وابن ظافر فى أخبار الدول المنقطعة ص ٧١ وابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٦٧.

(٣) تحرف فى الأصول إلى: «اثنتا عشرة سنة» وصوابه لدى ابن ظافر وابن إياس.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٦٨.

رؤساء الدنيا من حُجَّابهم، يمنعون المظلوم من اجتماعه على الحكام، حتى لا يزيلوا
ظلامتهم، ثم أنشد هذه الأبيات:

ولو أنا إذا متنا تركنا

لكان الموت راحة كل حيٍّ

ولكننا إذا متنا بُعِثنا

ونُسأل بعد ذا عن كل شيء^(١)

قال: ولما مات الأمير أحمد بن طولون خَلَف ثلاثة وثلاثين ولدًا، منهم سبعة عشر
ذكرًا، والباقي إناثًا^(٢).

وخلف عشرة آلاف ألف دينار ذهبًا عيَّنًا، وسبعة آلاف فرس وعشرة آلاف جمل،
وألف مركب، ومائة صندوق جواهر ومعادن وبقايت وغير ذلك من الأملاك
والبساتين^(٣).

وقد أنشد شخص هذه الأبيات:

خذ القناعة من دنياك وارض بها

واقصد لنفسك منها راحة البدن

وانظر لمن قد حوى مما سمعت به

هل خصه غير بعض القطن والكفن^(٤)

ثم لما مات الأمير أحمد بن طولون تولى من بعده ولده خمارويه، فمشى على نظام
والده، وزاد في غلمانه عشرة آلاف غلام، وجعل لهم جامكية^(٥).

وكان يحب الجياد من الخيل ويستأصلهم ويسأل عن أصلهم مثل الرجال الجياد، حتى
ضاق بهم الإصطبلات.

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٦٨.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٦٧.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٦٩.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٦٩.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٦٩.

وكان كثير العمارة، غرس الأشجار من سائر الأنواع على اختلاف الألوان، ثم أحضر الأشجار وغرسها فى الميدان الذى بناه قريباً من جامع أبيه، وجعل فيه من سائر الزهورات والرياحين^(١).

قيل: خرج يوماً يريد التنزه فاعترضه أعرابى فى الطريق، وقال له هذا الشعر:

إن السنان وحدَّ السيف لو نطقا

لحدثا عنك فى الهيجاء بالعجب

أفئيت مالك تعطيه وتبذله

يا آفة الفضة البيضاء والذهب^(٢)

قال: فلما سمع خمارويه منه هذه الأبيات قال لغلامه: ادفع له ما معك فى الخريطة،

فدفعه إليه فوجده خمسمائة درهم، فقال الأعرابى: ردنى، فمثلك من يزيد، فقال للممالك الذين معه: اطرحوا عليه سيوفكم ومناطقكم فطرحوها عليه، فلم يقدر عليها فى الحمل فدفع له بغلا فحملها عليه^(٣).

فلما رجع الأمير خمارويه إلى منزله فرَّق عليهم جميع الذى طرحوه عليه، واستمر

الأمير خمارويه فى أرض مصر حتى مات، رحمه الله، ودفن بجوار قبر أبيه.

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٦٩.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٧٠ - ١٧١.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٧١.

[أمير الجيوش الأفضل]

ثم تولى من بعده الأمير الأفضل بدر الجمالي أمير الجيوش صاحب سوق أمير الجيوش^(١).

والأفضل هو الذي بنى المسجد المطل على بركة الحبش المعروف بالرصد^(١).
وقيل: بسبب تسميته الرصد أنه كان فوق أعمدة من رخام أبيض وفوقه كرة نحاس أصفر نحو قنطار بسبب تحرير الساعات لأجل وقت الصلاة.
ولم ينسب للحاكم بأمر الله من بنائه شيء، وإنما هي إشاعة بين الناس في نسبته إلى الحاكم^(٢).

ومن الحوادث في أيام الأفضل: هاجت ريح سوداء مظلمة اشتد هبوبها وأظلم الجو حتى ظهرت النجوم بالنهار، فارتاع الناس من ذلك وتوجهوا إلى المساجد يتهلون إلى الله تعالى بالدعاء، فلم تزل تلك الرياح عاصفة من العصر إلى المغرب ثم بعد ذلك سكنت الريح وانجلت تلك الظلمة وعادت الناس إلى دكاكينهم بعدما تركوها مفتحة ومضوا إلى المساجد، وذلك يوم الجمعة ثاني شهر رجب سنة تسع وسبعين ومائتين^(٣).
ثم تولى من بعده هارون بن خمارويه، ومات.

ثم تولى من بعده شييان من أولاد أحمد بن طولون، وعُزل^(٤).
ثم تولى من بعده كيغَلغ التركي ومات، ومدتهم كلها يسيرة جداً، من سنة إلى مستين.

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٧٢.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٧٣.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٧٢.

(٤) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٧٣.

[الدولة الإخشيدية بمصر]

ولم يزل الأمر مضطرباً بمصر حتى ابتدأت الدولة الإخشيدية.

قال الكندي: أول من تولى مصر من الإخشيدية أحمد بن كيغلف، وبعده محمد بن طنج، وبعده خادمهم كافور، فكل واحد منهم كانت مدته يسيرة جداً نحو الستين أو أكثر. ولم يستقم حالهم سوى أبى بكر بن محمد [بن طنج] تولى مصر نحو خمس عشرة سنة، واستقامت أحوال الديار المصرية^(١).

واستكثر من العساكر ورتب لهم الرواتب وزاد لهم الجوامك، فكانت عدة عساكره بمصر والشام نحو أربعمائة ألف فارس، وبلغ خراج مصر فى أيامه ألف ألف دينار^(٢). قيل: إن وزيره عمل لأولاده فى ليلة الغطاس فوانيس شمع مزهر، فكان مصروفه مائة وعشرين ديناراً.

واستمر الأمير أبو بكر متولياً على مصر حتى مات ودفن بمصر^(٣).

[ذكر أخبار أبى المسك كافور الإخشيدى]

ثم تولى من بعده خادمه كافور أبو المسك الإخشيدى ومشى على مشى أستاذه، ومما وقع له أنه كان جالساً فى موكب يوم عيد فدخل عليه جماعة من التكرور، ومعهم طبل وطنبور، فرقصوا بين يديه فطرب لذلك وحرك كتفه وحرك رأسه، ثم استدرك فرطه فصار يحرك كتفه فى كل ساعة من الليل والنهار خوفاً لأن يستخفوا به، وقال: هذا مرض يحصل لى فى كل حين، ولم يخرج عن ناموسه^(٤).

(١) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٧٨ وما بين حاصرتين منه.

(٢) لدى ابن إياس الذى تتفق عبارته فى كثير من الأحوال مع عبارة المؤلف: «ألفي ألف ألف دينار».

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٧٨.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٨٠.

وكانت علامته على مراسيمه: يمد القلم بمدّه، والسيف بحده، والعبد بسعده لا بأبيه ولا بجده^(١).

وكان راتب مطبخه في كل يوم سبعمائة رطل لحم ضأن، وألفى رطل لحم بقري، ومائة طير أور، وثلاثمائة طير دجاج، وثلاثمائة طير حمام، وعشرين فرد سمك كبار، نحو خمسة قناطير، وعشرين رميساً رضيعاً، وثلاثمائة صحن حلوى، وسبعة أفراد فاكهة، وألف كور فُقّاق^(٢)، ومائة قرابة سكر، وألف كمامة [من الخبز] وخمسة أفراد بقولات، وكان يحضر سماطه الخاص العام^(٣).

وحصلت زلزلة عظيمة في أيامه خاف الناس منها وهربوا إلى الصحارى، فدخل عليه محمد بن عاصم الشاعر، وأنشد يقول:

ما زلزلت مصر من خوف يُراد بها

لكنها رقصت من عدله طرباً^(٤)

قال: فلما سمع كافور ذلك أجازته عليها ألف دينار، وهي الجائزة التي هيجت المتنبي حتى قدم مصر، ومدح كافوراً بقصائد سنّية ثابتة إلى الآن في ديوانه^(٥).

وحصلت في أيامه نار عظيمة أحرقت ألفاً وسبعمائة دار غير البضائع والأقمشة من سوق البزازين إلى قيسارية العسل، ودخل الليل والنار على حالها، وبات الناس على وجل، فركب كافور ونادى في الناس أن كل من أحضر قربة من الماء فله مائة درهم، فجاء الناس بنحو عشرة آلاف قربة وأطفئوا النار^(٦).

ووقع غلاء عظيم بسبب توقف البحر، فإنه لم يبلغ في زيادته غير اثني عشر ذراعاً

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٨٠.

(٢) الفُقّاق: شراب يتخذ من الشعير، يُخَمَّر حتى تملؤه فقاعاته.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٨٤ وما بين حاصرتين منه.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٨١.

(٥) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٨١.

(٦) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٨٣.

وتسعة عشر أصعباً، ثم إنه هبط فشرقت الأرض، ووقع غلاء بسبب ذلك فى سنة ست وخمسين وثلاثمائة^(١).

واستمر كافور الإخشيدى فى ولايته حتى مات فى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، ودفن بالقرافة الصغرى، وكانت مدة ولايته على مصر ستين وأربعة أشهر، وهو آخر من تولى من الأمراء.

قال ابن وصيف شاه: تولى على مصر من الأمراء اثنان وسبعون أميراً، أولهم عمرو ابن العاص رضي الله عنه، وآخرهم أبو المسك كافور الإخشيدى، ودفن غالبهم بمصر^(٢).

ومن مبتدئ ظهور الإسلام، من حين فُتحت مصر على يد عمرو بن العاص، وأخذها من يد المقوقس عظيم القبط، لم ينفرد أحد من أمرائها بنفسه ويستغل خراجها سوى الأمير أحمد بن طولون فى مدة ولايته عليها^(٣).

[دخول جوهر الصقلى إلى مصر]

ولما مات الأمير كافور واضطربت أحوال الديار المصرية وطمع أهل القرى فى الجند وامتنعوا عن وزن الخراج، فعند ذلك كتبوا أعيان مصر إلى الملك المعز الفاطمى، وكان ببلاد الغرب، بأن يحضر إلى الديار المصرية ويتسلم المدينة ويتولى عليها^(٤).

فلما وقف المعز على تلك المكاتبات أرسل إلى مصر الأمير جوهر الصقلى القائد ومعه مائة ألف [فارس] من العساكر المغربية، فكان دخول جوهر القائد إلى مصر فى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة^(٥).

فلما دخل إليها لم تعجبه مدينة الفسطاط، فأخذ فى أسباب عمارة القاهرة.

قال الشيخ الذهبى: لما أراد الأمير جوهر القائد أن يبنى سور القاهرة، خط أساس

(١) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٨٣.

(٢) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٨٤ ولديه: «وآخرهم أبو الفوارس أحمد الإخشيدى».

(٣) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٨٤.

(٤) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٨٤.

(٥) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٨٤ وما بين حاصرتين منه.

المدينة وجمع أرباب الفلك فأمرهم أن يختاروا له طالعاً سعيداً يضع فيه أساس المدينة، فجعل على كل جهة من أساس المدينة قوائم من الخشب، وبين كل قائمة من أساس المدينة جبلاً فيه أجراس من نحاس، ثم وقف الفلكية ينتظرون دخول الساعة الجيدة والطالع السعيد ليضعوا فيها الأساس، وكان لهم إشارة مع البنائين إذا حركوا لهم تلك الحبال التي فيها الأجراس فيلقوا ما بأيديهم من الحجارة إذا سمعوا حس الأجراس، فينتما هم واقفون لانتظار الساعة السعيدة، فاتفق أن غراباً وقع على تلك الحبال، فتحركت الأجراس التي بها، فظن البنؤون أن الفلكية حركوا لهم الحبال التي فيها الأجراس، فآلقوا ما بأيديهم من الحجارة في الأساسات التي حفروها للسور فصاحوا عليهم الفلكية لا، لا، القاهر في الطالع، يعنون المريح، واسمه عندهم القاهر، فقضى الأمر وخاتهم ما تصدوا من الطالع السعيد، فكان كما قيل:

يريد المرء أن يُعطى منه

ويأبى الله إلا ما أراداً^(١)

فقال الفلكية: اعلموا أن هذه المدينة أكثر من يملكها الأتراك، وكان الأمر كذلك، وكان بناء سور القاهرة في سنة تسع وخمسين وثلاثمائة^(٢).

وبنى السور أولاً بالطوب اللبن، فلما فرغ بناء السور أرسل الأمير جوهر القائد يعرف المعز بفراغ بناء السور، فقدم إليها.

(١) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٨٥.

(٢) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٨٥.

obeikandi.com

ابتداء دولة الخلفاء الفاطمية العبيدية بمصر

قال الشيخ شمس الدين [الذهبي] فى نسب المعز: هو: أبو تميم معدّ بن المنصور إسماعيل بن القائم بالله محمد [بن] المهدي عبيد الله المغربي [الفاطمي، ولد] ببلاد المغرب [بمدينة إفريقية] يزم الجمعة تاسع عشرين شوال سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة، وهو رابع خليفة من بنى عبيد الله ببلاد المغرب بمدينة إفريقية^(١).

وفى سبب شرف الفاطميين أقوال كثيرة، منها: نسبتهم إلى فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

ومنها: نسبتهم إلى الحسين بن محمد بن أحمد القداح، وأصل القداح من أبناء المجوس، وهو مشهور عند المؤرخين، وأكثر الاتفاق عليه^(٢).

قال الذهبي: كان قدوم المعز إلى مصر فى يوم الجمعة ثامن رمضان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة^(٣).

وانقرضت دولة الإخشيديين بموت كافور الإخشيدى، رحمه الله.

قال الشيخ شمس الدين الذهبي: لما دخل المعز إلى مصر، كان معه ألف وخمسمائة حمل ذهباً عيّنًا، ومعه قماش وتحف ما لا يسمع بمثلها، ومعه قبة من البلور يجلس فيها، وهى قطعتان كان إذا نصبها فى الكليّة المقمرة، أخفت نور القمر من شعاعها، ومعه أربع خواوى من البلور كل خابية تملأ رهاء راوية من الماء.

ثم إنه حمل أجداده معه الذى ماتوا بإفريقية ببلاد المغرب، حملهم إلى مصر ودفنهم بالقرافة الكبرى^(٤).

(١) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٨٧ وما بين حاصرتين منه.

(٢) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٨٧.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠ هـ) ص ٢٤٩.

(٤) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٨٧.

ثم إن المعز لما رأى ما بناه له جوهر القائد لم يعجبه ذلك وعابه، ثم قال: لآى شىء جعلها فى وطئة؟ لا هى بحرية ولا هى جبلية^(١)، لآى شىء ما جعلتها على البحر، وكان قد سماها المنصورية أولاً، ثم لما بلغه ما وقع للفلكية غير ذلك الاسم، وسماها القاهرة المعزية^(٢).

قال المُسَبِّحى: لما استقر المعز فى ملك مصر انفرد بها ولم يدخل تحت طاعة الخلفاء العباسية، وقال: أنا أفضل منهم، لأننى من ولد فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وكانت الخلفاء الفاطمية يحكمون من مصر إلى الشام إلى حلب إلى الفرات، وإلى مكة والمدينة، وإلى القدس والخليل، وصارت مصر وبلاد المغرب مملكة واحدة^(٣).

وكانوا الخلفاء العباسية يحكمون من الفرات إلى بغداد وأعمالها، وسائر بلاد الشرق، وكان يخطب لكل خليفة منهما فى الجهة التى تحت حكمه باسمه فقط^(٤).

ثم إن المعز رحمه الله امتكثر من العسكر بمصر، فكانوا ما بين مغاربة وروم وبربر وكنانة وصقالبة، وكانوا لا يحصون عدد ذلك لكثرتهم، حتى قيل: لم يطا الأرض بعد جيوش الإسكندر بن قورش الرومى أكثر من عساكر المعز الفاطمى^(٥).
ثم إنه بنى قصر الزمرد الذى بدار الضرب.

وكان جوهر القائد وزيره ومدبّر مملكته، ثم إن جوهر بنى جامع الأزهر فى سنة إحدى وستين وثلاثمائة، وكان من كبار الروافض، وكان ذا حرمة وافرة، أصلح ما أفسده من تقدم قبله من الأمراء، وزاد خراج مصر فى أيامه كونه أصلح القناطر والجسور والخلجان، وسد الترع، وأزال المظالم عن المزارعين وغيرهم.

ثم لما تولى المعز بمصر منع القبط من صب المياه على الناس فى يوم النوروز فى الطرقات، ووقود النار تلك الليلة، ومن النزول فى المراكب، وضرب الخيام على شاطئ

(١) فى الأصل: «جبلية» والمثبت رواية ابن إياس.

(٢) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٨٨.

(٣) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٩١.

(٤) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٩١.

(٥) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٩١.

البحر عند المقياس لأنه يحصل بسبب ذلك مفسد عظمة، فأبطل ذلك جميعه ونادى أن كل من فعل شيئاً من ذلك صُلب^(١).

ثم بعد ذلك وقفت امرأة للمعز فى موكبه ذات يوم وأنشدت تقول:

تحطّمنّا رب الزمان كأننا

رجاج ولكن لا يُعاد له سبك^(٢).

فقال لها المعز: من أنت؟ فقالت: أنا زوجة الأمير أبى بكر الإخشيدى صاحب مصر، فقال لها: ما حاجتك؟ فقالت: إني [قد] أودعت بغلطاقا [لى] عند يهودى، فطالبته به فأنكره منى فقلت له: أظنه عقداً، خذ لك ما تحتاج إليه من الجواهر وردّ إلى الباقي، فامتنع من ذلك^(٣).

فطلبه المعز وسأله عن ذلك فأنكره، فأمر بشنقه، فلما تحقق الهلاك اعترف به ثم أحضره، وقد أخذ منه درهمين، فسئل عنهما فاعترف أنه باعهما بألف وستمائة دينار^(٤).

وقد دفع المعز البغلطاقي بما فيه من الجواهر للمرأة وصلب اليهودى^(٥).

ثم إنها ملأت للمعز يدها من الجواهر فأبى أن يأخذ منها شيئاً وانصرفت وهى داعية له^(٦).

وكان المعز رافضياً يغيض الصحابة ويسبهم يوم الجمعة على المنابر^(٧).

وكان يميل إلى علم الفلك، فأخبره بعض المنجمين أن عليه قطعاً يوم كذا فى شهر كذا، وأشاروا عليه بأن يختفى فى مكان تحت الأرض حتى يمضى ذلك اليوم ويسلم من القطع، فاخترى فى سرداب تحت الأرض نحو أربعة أشهر^(٨).

(١) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٩٠.

(٢) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٨٨.

(٣) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٨٨ وما بين حاصرتين منه.

(٤) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٨٨.

(٥) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٨٩.

(٦) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٨٩.

(٧) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٨٩.

(٨) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٩١.

فلما طالت غيبته على العسكر، ظنوا أنه رُفِعَ إلى السماء، فكان أحد العسكر إذا رأى الغمام في السماء نزل عن فرسه وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، ولم يزالوا على ذلك حتى ظهر لهم وجلس على سرير ملكه^(١).

ثم إنه كان له أخت تسمى سيدة الملك، توفيت إلى رحمة الله فوجد عندها من الذهب العين ثلاثمائة صندوق، وخمس وبيات فصوص ياقوت، وغير ذلك من المعادن، ومدهن ياقوت زنته سبعة وعشرون مثقالاً لا يحصى ثمنه، وثلاثون ألف شقة حرير [ملون] وكانت مع هذه السعة أهد الناس في الدنيا لا تأكل إلا من غزلها حتى ماتت^(٢). واستمر المعز متولياً حتى مات، وكانت وفاته في ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة وعمره ست وأربعون سنة^(٣).

وهو أول خلفاء بني عبيد الله بمصر، ودفن عند سيدى زين العابدين جد السيدة نفيسة في تربته، وهى التربة التى بين الكيمان عند حدرة ابن قميحة، وكانت مدة ولايته بمصر ثلاث سنين^(٤).

وكان رجلاً عاقلاً فصيحاً لبيّاً، ومن جملة شعره:
 ما بان عُنْدى فيه حتى عُنْدا
 ومشى الدُّجَى فى خده فتَحِيَّرا
 همت نُقْبُهُ عَقاربُ صُدْغِه
 فاستلَّ ناظِرُهُ عليها خنجراً^(٥)

(١) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٩١.

(٢) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ١٩٦ وما بين حاصرتين منه.

(٣) النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٧٧.

(٤) النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٧٧ وقد تحرف فى الأصل مدة عمره وكذلك مدة ولايته بمصر والتصويب عن المصدر السابق.

(٥) الشعر ليس للمعز وإنما هو لابنه تميم بن المعز، وقد ورد محرفاً فى الأصل واعتمدنا فى تصويبه على ما جاء بيتيمة الدهر ج ١ ص ٢٩٢، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٣٠١.

[خلافة العزيز بالله أبي المنصور]

ثم مات المعز وتولى من بعده ولده العزيز بالله أبو المنصور نزار، ببيع له بالخلافة بعد موت أبيه المعز سنة خمس وستين وثلاثمائة، وكان مولده بمدينة القيرون سنة أربع وخمسين وثلاثمائة^(١).

ثم إنه لما استقر في المملكة جعل جوهرًا القائد مدبر مملكته، كما كان في زمن أبيه المغز، وكان يحب العدل في الرعية وينصف المظلوم من الظالم، وكان كريمًا جوادًا تحبه الجند والرعية، وصفًا له الوقت.

واستقر يعقوب بن كلس وزيرًا، ثم أنشد العزيز عبد الله بن حسن الجعفرى الشاعر يهنته بالخلافة:

عمت خلافته مصرًا فصار بها
كأنه الشمس فيها حلت الحملا
إن المعز الذى لا خلق تشبهه
إلا العزيز ابنه إن قال أو فعلا
فإن مضى كافل الدنيا فصار لنا
من بعده كافلاً يغنى بما فعلا
أضحت ملوك بنى الدنيا له خدماً
وما حوت كل دار منهم نقلاً^(٢)

ثم إنه اتخذ عاملاً على جميع جهات مصر نصرايا يقال له: نسطورس.

واتخذ يهوديا عاملاً أيضاً على جميع جهات دمشق يسمى منشاه، فجدد كل عامل منهما مظالم كثيرة لم يعلم بها العزيز^(٣).

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٩٢.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٩٢.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٩٦.

وركب يوماً وشق المدينة ورُئيت له فجعلوا مبخرة وألبسوها ثياب [النساء] وأوقفوها وفي يدها قصة [على جريدة] بما أحدثه العاملان من المظالم وفيها مكتوب: بالذى أعز النصرارى بنسطورس، وأعز اليهود بمنشأه، وأذل المسلمين بك ألا ما رحمتهم وأرلت [عنهم] ظلامتهم؟^(١).

فلما مر العزيز على تلك الصورة ظن أنها امرأة فتناولها منها وقراها، فأرسل من وقته وساعته وصلب النصرانى على باب القصر، وأرسل لليهودى بدمشق فصلبه على باب المدينة وضبط جميع أموالهما^(٢).

ثم حصل ريح سوداء، وغبار حار يأخذ بالأنفاس من شدة الحرارة، فضج الناس من ذلك واستمر خمسة أيام لباليها، ثم انكشف ذلك الأمر عن الناس حتى كأنه لم يكن بعد أن عاينوا الهلاك^(٣).

وأصيدت سمكة بمدينة تنيس فكان طولها ثمانية وعشرين ذراعاً ونصف ذراع، وعرضها خمسة عشر ذراعاً، وكانت فتحة عينها تسعة وعشرين شبراً، ولها يدان طول كل يد ثلاثة أذرع، وعيناها كعين البقر، ولسانها كلسان الثور، وهى ملساء، ففتحوا بطنها وحشوها ملحاً، فكان قدره ما يزن^(٤) إردبا [ثم] أرسلها نائب تنيس إلى العزيز حتى رآها وتعجب من خلقتها^(٥).

وتنيس قريب من دمياط، وكانت عامرة مشمرة، حتى أخذها الفرنج منهم واستولوا عليها، ثم بعد ذلك أطلقوا فيها النار وأحرقوها، ورحلوا عنها أيام الملك الكامل محمد بن أيوب فى سنة أربع وعشرين وستمائة.

[وفى أيام العزيز] ظهر السمك اللبىس [ببحر النيل] هرب من البحر المالح ودخل إلى البحر الحلو، وكذلك البلطى جاء من البحر المالح^(٦).

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٩٦ وما بين حاصرتين منه.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٩٦.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٩٥.

(٤) لدى ابن إياس: «مائة إردب».

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٩٥ وما بين حاصرتين منه.

(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٩٥ وما بين حاصرتين منه.

ثم إن العزيز استمر في الخلافة حتى مات في شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلاثمائة، وكانت مدة إقامته في الخلافة بمصر [والقاهرة] إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر وأياماً^(١).

وكان العزيز خيار بنى عبيد [الله] قاطبة^(٢).

[خلافة الحاكم بأمر الله أبي على المنصور]

ثم تولى من بعده ولده الحاكم بأمر الله المنصور أبو على بن العزيز نزار بن المعز معد الفاطمي العبيدي.

[وهو] الثالث من خلفاء بنى عبيد [الله] بمصر، بويح بالخلافة بعد موت أبيه، يوم [الثلاثاء] سلخ شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلاثمائة، ولد بالقاهرة يوم انجمعة سادس عشرين شهر جمادى الأولى سنة خمس وسبعين وثلاثمائة^(٣).

[فلما] تولى الخلافة أظهر العدل في الرعية [وأخذ في أسباب بناء الجامع المعروف به، وكان والده العزيز بنى أساس هذا الجامع، ولم يتمه، فأكمله ابنه الحاكم فعرف به، وكان انتهاء العمل منه في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة]^(٤).

وأفرد لليهود حارة زويلة وأسكنهم فيها و [أمرهم أن] لا يخالطوا المسلمين، ثم أمرهم أن يدخلوا في دين الإسلام فخافوا منه وأسلموا، ثم بعد ذلك أذن لهم بالعود إلى دينهم فارتد منهم في يوم واحد أكثر من سبعة آلاف يهودي، ثم أمر بهدم كنائسهم ثم أعادها^(٥).

ثم مرض جوهر القائد ومات، فوجدوا عنده ستمائة ألف دينار ذهباً، وأربعة آلاف ألف

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٩٧ وما بين حاصرتين منه.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٩٧ وما بين حاصرتين منه.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٩٧ وما بين حاصرتين منه.

(٤) مكان ما بين الحاصرتين في الأصل فيه نقص وتحريف وقد اعتمدنا في تكملة النص وتصويبه على ما جاء ببدايع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٩٧.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٩٨ وما بين حاصرتين منه.

درهم فضية، وأربعة صناديق ملائنة من اللؤلؤ الكبار، وأربعة صناديق من اللؤلؤ والياقوت، وألف قصبة زمرّد، وخمسة وسبعين ألف ثوب ديباج وغير ذلك، ودواة طولها ذراع مرصعة بالدر والياقوت، قيمتها اثنا عشر ألف دينار، ومائة مسمار ذهب، على كل مسمار منها عمامة لون، وثلاث آلاف ملعقة ذهب، وعشرة آلاف ربدية صيني، وأربع قدور [من] الذهب، كل قدر مائة رطل يطبخ فيها المسلوقة، وسبعمئة خاتم بفصوص، وثلاثة آلاف نرجسية ذهب وفضة لشرب الماء، وأما الخيل والبغال والحمير والنحاس والفرش والعبيد والجواهر والأملّك فلا يعلم لها عدد^(١).

ولما مات دفن بالقرافة الكبرى.

ثم إن الحاكم بأمر الله لما توفى الأمير جوهر استمر الأمير برجوان عوضه فى الوزارة وهو صاحب الحارة المنسوبة إليه، وكان من أمر الحاكم ما كان، وكان لا يفعل شيئاً إلا بمراجعته^(٢).

وكان معه كالمحجور عليه، فلم يقدر الحاكم على ذلك فأرسل شخصاً قتل برجوان وهو خارج من الحمام^(٣).

وأحاط الحاكم على موجوده فوجد أكثر ما وجد لجوهر القائد مما ذكر وأضعاف أضعافه.

ثم لما قتله صار ما عليه يدٌ ثم طغى وتجبر وصار يفعل أفعال المجانين، فمنها: أنه مر يوماً على حمام الذهب الذى بمصر القديمة الآن فسمع ضجيجاً فسأل عن ذلك الضجيج فقيل له: ضجيج كثرة النسوة فى الحمام فأمر بسد الباب فسُدّ عليهن بالحجر الفص، واستمروا داخل الحمام إلى أن ماتوا جميعاً^(٤).

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٩٣ هذا والخبر الخاص بما وجد للأمير جوهر، أورده ابن إياس أثناء خلافة العزيز بالله.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٩٨.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٩٨.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٩٩.

ومنها: أنه منع الناس من بيع الزبيب، وأمر بحرق الكروم، فقطع في يوم واحد ألف كرمة إلى مائة ألف كرمة^(١).

ومنع من بيع العسل الأسود، فكسر منه في يوم واحد اثني عشر ألف مطرا^(٢).

ومنع من أكل الملوخية وأكل القرع، وكتب قسماً على الفلاحين أنهم لا يزرعون ذلك ولا يبيعونه لأن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يأكل ذلك، وأن عائشة رضي الله عنها كانت تأكل ذلك، ثم إنه رأى جماعة يأكلون الملوخية فقبض عليهم وضربهم بالسياط، وطاف بهم في القاهرة، وأمر بضرب رقابهم^(٣).

ونهى عن بيع السمك الذى لا قشر له، ونهى عن بيع الرطب، ونهى عن زرع الترمس، وأمر بقتل الكلاب، فقتل في يوم واحد ثلاثين ألف كلب^(٤).

وأمر بوقد الشمع [فى مجلسه] ليلاً ونهاراً، ثم إنه صار يجلس فى الظلام [مدة طويلة] وأمر بغلق الأسواق نهاراً وفتحها ليلاً، وجعل النهار مقام الليل والليل مقام النهار، واستمر الناس على ذلك زمناً طويلاً^(٥).

ثم إنه مر على شيخ يعمل فى النجارة بعد العصر فقال له: يا شيخ، أما نهيتك عن العمل بالنهار؟ فقال له: يا أمير، أليس كانوا يسهرون بالليل، وهذا من جملة السهر، فتبسم وتركه، ثم عاد الناس على ما كانوا عليه [فى الأول] يتقاضون أشغالهم بالنهار^(٦).

وكان يسب الصحابة ويكتب ذلك على أبواب المساجد والجوامع، ثم محاه بعد ذلك^(٧).

وهدم قمامة^(٨) وبنى مكانها مسجداً ثم أعادها على ما كانت عليه^(٩).

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٩٩.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٩٩.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٩٩.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٩٩.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٩٩ وما بين حاصرتين منه.

(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٠ وما بين حاصرتين منه.

(٧) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٠.

(٨) ابن خلكان مفسراً وموضحاً: «أمر بهدم الكنيسة المعروفة بقمامة».

(٩) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٠.

وكان يبنى المدارس ويرتب فيها المشايخ والصوفية ثم يقتلهم ويهدم المدارس^(١).

وكان يعاقب خواصه بسلب الألقاب، فإذا غضب على أحد سلب لقبه مدة طويلة لا يدعوه بلقبه، ويستمر حزينًا كثيرًا حتى يرد له لقبه، فيكون ذلك اليوم عيداً^(٢).

وأمر اليهود إذا خرجوا إلى الأسواق [أن] يجعلوا في أعناقهم قرامى خشب، كل قرمة زنتها خمسة أرتال، والنصارى [بأن يضعوا] في أعناقهم صلبان حديد، كل صليب زنته أربعة أرتال، وطوله ذراع، [وأن] يلبسوا المآزر المصلبة، ولا يركبون أصلاً، ثم أعادهم على ما كانوا عليه^(٣).

[ثم إنه أمر الناس] إذا ذكر الخطيب اسمه على المنبر يوم الجمعة يقوم الناس له إجلالا وتعظيمًا، حتى فعل ذلك في الحرمين الشريفين وفي بيت المقدس^(٤).

وكان يلبس جبة من صوف بيضاء ويركب على حمار أشهب يسمى القمر، ويطوف [أسواق] مصر والقاهرة، ويباشر حسبة البلد، فمن رآه غش في بضاعته يأمر عبده الذى يمشى قدامه، اسمه مسعود، عبد أسود طويل يفعل فى ذلك الشخص الفاحشة العظمى، وهى اللواط، والناس ينظرون إليه حتى يفرغ، والحاكم قائم على رأسه^(٥).

وأبطل صلاة التراويح مدة طويلة، نحو عشرين سنة، ثم أعادها^(٦).

وكان يحب العلماء ثم يقتلهم بعد ذلك، منهم [أبو] أسامة كان من أكابر العلماء، ومنهم جنادة^(٧) اللغوى، قيل: كان يعرف للكلب ثلاثمائة اسم فى لغة العرب، ومنهم الهروى وغيره^(٨).

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٠.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٠.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٠ وما بين حاصرتين منه.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٠ وما بين حاصرتين منه.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠١ وما بين حاصرتين منه.

(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠١.

(٧) الأصل وبدائع الزهور: «جبارة» وصوابه لدى ابن خلكان ج ١ ص ٣٧٢.

(٨) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠١ وما بين حاصرتين منه.

وكان عنده شجاعة عظيمة وإقدام، وكرم وبخل، وظلم وجور، وعدل في الرعية ويتبعه بسوء^(١).

ونادى في الناس أن لا أحد يغلق بابه ولا حانوته وكل من ضاع له شيء فغرامته في درك الحاكم، فتركوا ذلك مفتوحين^(٢).

وأخذوا للناس في ليلة واحدة أربعمئة عملة، وأصبح الناس يستغيثون به، فأحضر صنماً كان عنده يسمى أبو الهول، فكان كل من ضاع له شيء يجلس بين يديه ويقول له: يا أبا الهول [قد] ضاع لى كذا وكذا، فيقول له شخص من داخل الصنم^(٣): إن ضائعك أخذه فلان [بن فلان] ووضعه في المكان [الفلاني في الحارة الفلانية، فيرسل الحاكم بعض غلمانة إلى ذلك المكان فيحضر الضائع بعينه فيسلمه إلى صاحبه] ثم لا زال على ذلك حتى رد جميع ما ضاع لأربابه^(٤).

ثم صلب اللصوص وعادت الناس في أمان ينامون في بيوتهم وأبوابهم مفتحة وحوانيتهم كذلك لم يسرق لهم شيء، حتى إذا وقع من أحد درهم يستمر في مكانه لا يجسر أن يأخذه أحد حتى يأتي إليه صاحبه فيأخذه، ثم ينادى رحم الله من اعتبر بغيره^(٥).

وقيل: إنه وقع من شخص كيس فيه ألف دينار عند باب جامع ابن طولون واستمر في مكانه أسبوعاً كاملاً لم يجسر أحد على أخذه حتى يمرّ به صاحبه فيأخذه.

واستمر ذلك الصنم عند الحاكم حتى جاء لص ليلة من الليالي وسرقه وكسره قطعاً، فوجد فيه شخصاً لطيفاً فكسره، فمن ذلك اليوم لم ينطق أصلاً وبطل فعله^(٦).

ولم يكن من محاسن الحاكم سوى هذه الحكاية، وهي أن شخصاً أودع عند شخص آخر جراباً فيه ألف دينار، وسافر عنه، ثم حضر وطلب جرابه فأنكره الرجل.

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠١.

(٢) من الأساليب الشائعة في عصر المؤلف، وترك كما هو للدلالة على لغة العصر.

(٣) عبارة ابن إياس: «فيقول الروحاني الذي في جوف الصنم».

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٢ وما بين حاصرتين منه.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٣.

(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٣.

فتوجه ذلك الرجل وشكا أمره إلى الحاكم، فقال له الحاكم: إذا أصبحت اجلس في الطريق حتى أمر عليك، فإذا رأيته فقم وامش معي وحدثني حديثاً طويلاً وأنا أصغى إليك.

قال: فلما أصبح ذلك الرجل جلس في الطريق ينتظر الحاكم حتى رآه فقام إليه ومشى معه وصار يحدثه حديثاً طويلاً وهو يسمع حديثه، وكان صاحبه الذي أودعه الجراب ينظره.

فلما رجع إلى بيته أحضر له ذلك الجراب مختوماً كما أعطاه له، فتوجه صاحب الجراب إلى الحاكم وأعلمه بأحواله، فقال: خذ جرابك وتوجه إلى حال سبيلك، فانصرف بجرابه، ثم أصبح فوجد الرجل مصلوباً على بابهِ والناس يتعجبون من أمره، وكيف صُلب ذلك الرجل^(١).

ثم وقع في أيامه غلاء عظيم فاستغاثوا^(٢) الناس من ذلك إليه، فوقفوا تحت قصره وشكوا له فقال لهم: إذا كان الغد أنا أركب، وكل مكان أجده خالياً من القمح فأنا أصلب صاحبه أو أضرب عنقه^(٣).

ثم إنه ركب أول النهار وتوجه إلى جامع راشدة إلى مصر، فلم يجد مكاناً خالياً من القمح، فاطمانوا الناس وشبعوا، وزال الغلاء بأمر الله تعالى^(٤).

ثم إنه أمر أن لا أحد يدخر في بيته غير ما ينفقه من القوت، وقرر للناس أسعاراً لا تزيد ولا تنقص، فلم يقدر أحد يزيد في الأسعار ولا ينقص^(٥).

وكان في زمانه قاض يسمى النطاح، وله طرطور وفيه قرنان من قرون البقر يضعه بجانبه، فإذا أتاه خصمان يتحاكما عنده، فيلبس ذلك الطرطور ويسمع قولهما، فإذا رأى

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٣.

(٢) أقيمت على بعض هذه التعبيرات فيما سبق وفيما يلي للدلالة على سمات الكتابة في ذلك العصر.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٥.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٥.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٥.

أحدهما جار على صاحبه فينطحه فيدمى رأسه وينصر صاحبه، فيستمر ذلك الرجل يداوى رأسه مدة طويلة، فاشتهر من ذلك القاضى من ذلك اليوم^(١).

وبلغ الخبر إلى الحاكم فأرسل خلفه، فقال له: ما هذه الأحوال [التي] بلغتني عنك؟ ما هو كذا وكذا؟ وقد صرت بهذه السيرة شنيعاً ومثلاً بين الناس! فقال له: يا أمير المؤمنين، أشتهى عليك أن تختفى وتحضر مجلسي لتنظر ما أقاسيه من التعب من الاخصام، فإن رأيتني معذوراً في ذلك وإلا عاقبني بأشد العقوبة^(٢).

فوافقه أن يحضر مجلسه مختفياً وينظر ما يقع، ثم إن الحاكم اختفى وحضر إلى مجلس القاضى، ثم جلس القاضى وجلس الحاكم خلف ستارة لينظر الأحوال، فجاء خصمان وقفا بين يدي القاضى، فادعى أحدهما على الآخر بمائة دينار فاعترف له بها، فأمره القاضى بالدفع فقال له: أنا معسر قسّط على المبلغ على قدر حالي، فقال له القاضى: قسّطوا عليه في كل شهر عشرة دنانير، فقال المديون: لا أقدر على ذلك، فقال القاضى: تكون خمسة، فقال: لا أقدر، قال: تكون دينارين، قال: لا أقدر، قال: دينار، قال: لا أقدر، قال عشرة دراهم في كل شهر، قال: لا أقدر، فقال القاضى: تقدر على ماذا؟ قال: أقدر على ثلاثة دراهم في كل سنة، بشرط أن يكون خصمى في السجن لثلاث يحصل معى هذا القدر ولم أجد خصمى، فيذهب منى^(٣).

قال: فقال له الحاكم: أنت تنطح الخصم المتمرد كم نطحة؟ فقال القاضى: مرة واحدة، فقال له الحاكم: انطحه مرتين، وإلا انطحه مرة وأنا أنطحه مرة^(٤).

وكان الحاكم أحمق فنطحه مرة والقاضى مرة، ثم انصرف عنهم وعذر القاضى^(٥).

ثم إن الحاكم تزايد أمره في الظلم والجور واستخف بأهل مصر حتى أنه ادعى الربوبية من دون الله، مثل فرعون.

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٥.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٦ وما بين حاصرتين منه.

(٣) عبارة الأصل: «بشرط أن يكون خصمى مسجوناً لاني أخاف إذا حصلوا معى يضيعون منى إن لم أجده» والمثبت رواية ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٢٠٦.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٦.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٦.

وكان إذا مر في الطرقات يقال له: يا واحد يا أحد، يا محيى يا مميت، وبعض جهال العوام يسجدون له من دون الله تعالى، كلما رأوه، ومن لم يفعل ذلك ضرب عنقه^(١).

ثم كان يرسل بعض نسوة إلى بيوت الأمراء يستمعون ما يقع من الأحوال ويحضرون إلى الحاكم فيخبرونه بذلك، ثم يصبح الحاكم فيقول: يا فلان أنت عملت في بيتك كذا وكذا، وأنت يا فلان وقع لك كذا وكذا، حتى أنهم يتعجبون من ذلك^(٢).

ثم إنه أفهمهم أنه يعلم الغيب، فكتب له بعض الحذاق رقعة مكتوب فيها، يقول:

بالجور والظلم قد رضينا

وليس بالكفر والحماسة

إن كنت تدعى علم غيب

يُن لنا كاتب البطاقة

قال: فلما قرأ ذلك رجع عما كان فيه وما يدعيه من علم الغيب^(٣).

ثم إن الفاطمية كانوا يدعون أنهم من نسل فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وأثبتوا لهم نسباً فاسداً وهو غير صحيح، وإنما هم من ولد ديصان بن سعيد، وكان مجوسياً ووافق على ذلك جماعة من العلماء منهم أبو حامد الإسفرايينى، وأبو الحسن القدورى وغيرهم^(٤).

ودعواهم أنهم أفضل من الخلفاء العباسيين غير صحيح^(٥).

واستمر الحاكم فى تماديه على الظلم والجور والكفر حتى أن اخته ست النصر قال لها جماعة: أخوك يريد قتلك، فلما تحققت ذلك منه قامت وتوجهت إلى بيت الأمير سيف الدين بن دواس، وكان أكبر أمراء الحاكم، فلما دخلت عليه قالت له: أنا أخت الحاكم، فقام لها وعظمها وأجلسها فى صدر المكان وأكرمها^(٦).

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٧.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٨.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٨.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٨.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٨.

(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٩.

ثم قالت له: قد علمت ما فعل أخى بالمسلمين وأنت ساكت! ثم إنه عزم على قتلى وقتل غيرى، فقال لها: كيف الحيلة فى قتله؟ قالت له: إذا توجه إلى حلوان أرسل خلفه من يقتله هناك، وأنت تكون مدبر المملكة، وولده مكانه، ثم مضت إلى قصرها^(١).

فلما أصبح الصباح ركب الحاكم حماره الأشهب، وتوجه على عادته إلى حلوان، فأرسل الأمير سيف الدين خلفه عشرة عبيد سود، ودفع لكل عبد منهم خمسمائة دينار، وعرفهم كيف يقتلون الحاكم، قال: فتبعوه^(٢) العبيد إلى حلوان، فلما وصل إليها خرجوا عليه وقتلوه فى المقصبة التى هناك^(٣).

ثم لما أبطأ خبر الحاكم على العساكر ركب الأمير مظفر الحاجب، ومعه بعض العساكر وتوجه إلى المكان الذى كان الحاكم يتوجه إليه، فوجدوا حماره الأشهب مقطوع اليدين والرجلين وعليه السرج واللجام.

فلما رأوا ثيابه^(٤) ملطخة بالدم علموا أنه قُتل، فرجعوا وأشاعوا قتله، فكانت قتله فى شوال سنة إحدى عشرة وأربعمائة، وكانت مدة خلافته خمساً وعشرين سنة وأياماً^(٥). وأهل مصر صابرون على أذاه حتى فرج الله تعالى بموته.

[خلافة الظاهر لدين الله على بن المنصور]

ثم تولى من بعده ابنه الظاهر لدين الله على بن منصور بن نزار بن المعز [معد وهو] الرابع من الخلفاء العبيدية الفاطمية، بويع له بالخلافة فى شهر شوال سنة إحدى عشرة وأربعمائة، وكان عمره ست عشرة سنة، وصارت عمته ست النصر أخت الحاكم قائمة بأمر دولته هى والأمير سيف الدين بن دواس^(٦).

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٩.

(٢) كذا والقاعدة (فتبعه العبيد) وجاء هذا على لغة (أكلونى البراغيث)! وقد مر هذا الأسلوب كثيراً وسوف يأتى بعد كذلك.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٠٩.

(٤) أى ثياب الحاكم.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢١٠.

(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢١١ وما بين حاصرتين منه.

ثم توفيت أخت الحاكم وتركت موجوداً لا يحصى ولا يعد^(١).

وفى أيامه وردت الأخبار من مكة بأن جماعة من الأعاجم وصلوا إلى مكة بسبب التجارة، ثم غافلوا الناس ودخلوا الحرم فى وقت القيلولة وجاءوا إلى الحجر الأسود فقلعوه وكسروه ثلاث قطع، فمسكوكهم^(٢) الناس وأخذوه منهم، ثم أعادوه مكانه وقطعوا أيديهم وصلبوكهم على أبواب الحرم^(٣).

ثم إن القبط كان لهم عادة أن يجتمعوا ليلة الحادى عشر من شهر طوبة، ويسمونكها ليلة الغطاس، يغطس القبط والمسلمون فى تلك الليلة فى أيام الشتاء تجاه المقياس، وتنصب هناك الاسرة لآعيان القبط ورؤسائهم، ويصرف تلك الليلة نحو مائة ألف دينار فى مأكلى ومشرب وآلات الملاهى وتحصل مفاصد عظيمة لا توصف^(٤).

وتوقد الفوانيس والشموع وتمتلئ المراكب بالناس حتى أن البحر لا يرى، ولا يغلق حانوت ولا باب من الأبواب، وذلك من الأمن والأمان، ويعتقدون أن كل من غطس فى تلك الليلة يأمن من المرض طول سنته^(٥).

فلما وقع ذلك فى أيام المعز وأطلع على ذلك الحال والمفاصد نادى بإبطال ذلك.

وتم بطلاً إلى أيام ولده الظاهر لدين الله، فأمر بإعادة ذلك ففعلوا واطلع عليه واستمروا على ذلك إلى وفاته^(٦).

فتوفى رحمه الله يوم الأحد خامس عشر شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة، وأقام متولياً بمصر خمس عشرة سنة وتسعة أشهر^(٧).

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢١١.

(٢) كذا وشبهه به ما ورد لدى ابن إياس فى الموضع المماثل: «فأدركوكهم الناس» وقد سبق التعليل على مثل هذه التعبيرات.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢١٢.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢١٢.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢١٢.

(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢١٣.

(٧) أخبار الدول المنقطعة ص ١٣٩.

[خلافة المستنصر بالله أبي تميم]

ثم تولى من بعده ولده المستنصر بالله، أبو تميم، الخامس من خلفاء بني عبيد الله الفاطمي.

بويح له بالخلافة يوم الأحد خامس عشر شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة، وخطب له على منابر بغداد، مع وجود خلفاء بني العباس، وهذا لم يقع لأحد من أقاربه من خلفاء بني عبيد الله، ثم إنه استقر بالحسن بن علي اليازوري وزيراً، وهو الذي جمع بين الوزارة، وقضاء القضاة الشافعية، ولم يقع هذا لأحد قبله من الوزراء^(١).

[ثم إن المستنصر قبض على أبي نصر الفلاحى الوزير واعتقله بخزانة البنود، وأحاط على موجوده، ثم قطع رأسه، ودفنها بخزانة البنود، وكان الذى رافع فى أبى نصر الفلاحى شخص يسمى ابن الأنبارى.

فلما مضى الفلاحى أقام ابن الأنبارى بعد قتل الفلاحى مدة يسيرة وقبض عليه المستنصر، واعتقله بخزانة البنود، ثم إن المستنصر أمر بقطع رأس ابن الأنبارى، فلما أرادوا أن يحفروا له حفرة ليواروه فيها، ظهر لهم فى الحفرة رأس فسألوا ابن الأنبارى عن هذه الرأس لمن هى؟ قال: هذه رأس أبى نصر الفلاحى، وأنا قتلتها، ودفنت رأسه هنا، فلما أرادوا قطع رأس ابن الأنبارى، أنشد يقول: ^(٢)

رُبَّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْدًا مَرارًا

ضاحكًا من تزامم الاضداد^(٣)

والمجازاة من جنس العمل.

ثم وقع فى زمن المستنصر غلاء عظيم يعادل الغلاء الذى وقع فى زمن السيد يوسف،

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢١٥.

(٢) مكان ما بين الحاصرتين فيه تحريف وسقط فى الأصل، وقد اعتمدنا فى تكملة النص وتصويبه

على ما جاء بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢١٥ - ٢١٦.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢١٥ - ٢١٦.

عليه السلام، فأقام الغلاء سبع سنين متوالية، والنيل لم تصل ريادته إلى أكثر من اثني عشر ذراعاً، وأحد عشر إصبعاً.

ثم إن الناس أكل بعضهم بعضاً، وأبيع الإردب القمح بثمانين ديناراً، ثم اشتد الأمر حتى أبيع كل إردب بمائة وعشرين ديناراً، ثم أبيع كل رغيف فى رقاق القناديل بخمسة عشر ديناراً.

وبعض الناس أكل الميتة والكلاب والقطط، حتى أن الكلب أبيع بخمسة دنانير والقطط كذلك^(١).

وكان الكلب يدخل الدار يجر الولد من المهد فيأكله بحضرة أبيه وأمه، وهما ينظران إليه، وليس لهما قدرة على القيام يدفعانه عنه من عدم القوة وشدة الجوع، حتى صار الرجل يأخذ ولد جاره فيذبحه ويأكله، وإذا قوى الرجل القوى على الضعيف فيذبحه ويأكله^(٢).

وصارت الناس يجلسون على السقائف وبأيديهم حبال وكلاليب، فإذا مر أحد من الناس اختطفوه بتلك الكلاليب إلى عندهم فيذبحونه ويأكلونه بعظامه^(٣).

ثم وقع أن الخليفة كان له وزير فطلبه إلى عنده فركب بغلته وأتى إلى الخليفة، وترك البغلة عند نزوله بالباب، فأخذوها فذبحوها وأكلوها، فلما علم بذلك أرسل إليهم جماعة فمسكهم وشنقوهم وعلقوهم على الخشب، فأصبحوا فلم يجدوا إلا عظامهم^(٤).

قال المسبحى: كان بمدينة الفسطاط حارة تسمى حارة الطبق [وكان فيها نحو عشرين داراً] كل دار ثمنها ألف دينار، فابتاعوا تلك الدور كلها بطبق خبز، كل دار برغيف^(٥).

وحكى الشيخ أبو الفرج بن الجوزى أن امرأة كان عندها ربع لؤلؤ فباعته بربع دقيق

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢١٦.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢١٦.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢١٧.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢١٧.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢١٧ وما بين حاصرتين منه.

بعد جهد كبير، وكان الدقيق ثلثه نخالة، وثلثه دقيق، وثلثه سوس، وكانت قيمة اللؤلؤ عشرة آلاف دينار.

فلما أخذت الدقيق وتوجهت به إلى بيتها فأحسوا بها الناس فتبعوها ونهبوه منها، فأخذت منه بجملة الناس ملء يديها، فلما وصلت إلى بيتها عجته رغيفا وجاءت به إلى القرن فلما خبزته نهبوه منها، فلم يحصل له منها إلا لقمة واحدة، فأكلت اللقمة، فلما وصلت اللقمة إلى جوفها سقطت ميتة^(١).

وكذلك الذى أخذ اللؤلؤ لم يجد من يشتريه فألقاه فى الطريق، فلم يجد من يأخذه وصار كل واحد مشغول بنفسه^(٢).

ثم إن امرأة وقفت تحت قصر الخليفة ونادت بأعلى صوتها: يا أهل القاهرة [ومصر]، ادعوا بالنصر لمولانا الخليفة الذى لم يجد الناس فى رمنه الخبز^(٣).

فلما سمع ذلك طلب الوزير والحاجب وأوعدهما بالقتل، فصارا يكسبون البيوت والأفران على القمح والدقيق وكثر للناس الخبز^(٤).

ثم حصل من بعد ذلك فناء عظيم، ذهب ثلث أهل مصر^(٥).

ثم رفع الغلاء والعناء وانصلح الحال بإذن الله تعالى.

واستمر الخليفة متولياً حتى مات يوم الخميس عاشر شهر ذى الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة، ومات وله من العمر نحو ثمان وستين سنة.

وتولى الخلافة وعمره سبع سنوات، وأقام فى الخلافة نحو ستين سنة، وما تولى أحد من الخلفاء الفاطمية والعباسية ومكث فى الملك قدره، وقاسى مشاق لا تطاق فى هذه المدة^(٦).

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢١٧.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢١٧.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢١٨ وما بين حاصرتين منه.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢١٨.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢١٨.

(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢٠.

[خلافة المستعلى بالله أحمد]

ثم تولى من بعده ابنه أحمد المستعلى بالله.

وهو السادس من الخلفاء الفاطمية بنى عبيد الله، وقع فى أيامه أن الفرنج استولوا على بيت المقدس وملكوه وقتلوا جماعة من المسلمين، وأسروا ألف مسلم، وأخذوا من قبة الصخرة نحو أربعين قنديلاً ذهباً رنة كل قنديل ألف درهم واستمروا مالكين ثلاث سنوات^(١).

وكسفت الشمس [فى أيامه] وأظلمت الدنيا إلى آخر النهار، وظهرت النجوم بالنهار ثم انجلت^(٢).

ومرض الخليفة ثم مات.

[خلافة الأمر بأحكام الله أبى على منصور]

وتولى من بعده ولده الأمر بأحكام الله أبو على منصور ابن المستعلى بالله.

وهو السابع من الخلفاء الفاطمية بنى عبيد الله، لما تولى الخلافة طاش وسار سيرة قبيحة، وتلاهى بشرب الخمر والفساد، حتى ملكوا الفرنج عكا وطرابلس ونابلس، وغير ذلك من البلاد واستولوا عليها.

ثم قصدوا المجرى إلى الديار المصرية وكان ملكهم بردويل^(٣).

فلما وصل إلى العريش مرض [هناك] مرضاً شديداً، ومات [بالعريش] وأخفوا موته، ثم إنهم شقوا بطنه وأخرجوا مصارينه ودفنوها بالعريش^(٤).

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢٠.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢١ وما بين حاصرتين منه.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢١ - ٢٢٢.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢٢ وما بين حاصرتين منه.

ثم ظهر ذلك للناس فصار كل من [مرء] بذلك المكان يرجمه، وصار ذلك المكان يعرف بسبخة بردويل، وأما جثته فحملوها إلى القمامة التي ببית المقدس ودفنوها هناك^(١).

ووقع في أيامه غلاء عظيم، حتى وصل القمح كل أردب إلى ثلاثين دينارا، ثم تراجع الأمر بسياسة الوزير البطاحي، فإنه كان مديراً تدبيراً لم يدبره غيره في الوزراء.

ثم في سنة خمس عشرة وخمسمائة ابتداء بعمارة المسجد^(٢) الذي بسوق مرجوش، وسماه بالجامع الأحمر، أصرف عليه مالا له صورة وجعل له صهريجاً له سرداب يملأ من الخليج الحاكمي.

ثم إن الخليفة قبض على الوزير المأمون البطاحي وقتله، واستولى على جميع أمواله وما عنده من نقد ومصاغ وقماش ومعادن وخيول وفرش وممالك وعبيد وجوار وغير ذلك، وستمائة ألف دينار وأكثر.

ثم إنه لم يقم الخليفة بعد الوزير إلا أياماً قلائل، وقتل في بر الروضة، فحملوه إلى القاهرة ودفنوه^(٣) فيها.

فكانت مدة ولايته تسعاً وعشرين سنة، وشهرين^(٤).

[خلافة أبي الميمون عبد المجيد الحافظ لدين الله]

ثم تولى من بعده أبو الميمون عبد المجيد الحافظ لدين الله ابن المستنصر [بالله].

وهو الثامن من الخلفاء الفاطمية بنى عبيد الله [الفاطمي]^(٥).

(١) الدول المنقطعة ص ١٦٠، بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢٢.

(٢) يقول القلقشندي: بناء الأمر الفاطمي بوساطة وزيره المأمون بن البطاحي، وكمل بناؤه في سنة تسع عشرة وخمسمائة، وذكر اسم الأمر والمأمون عليه، ويقع هذا الجامع بشارع المعز لدين الله في القسم الذي كان يعرف باسم شارع النحاسين، انظر صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٦١، النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٧٣، المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٩٠، الخطط التوفيقية ج ٢ ص ٨٦.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢٣.

(٤) الدول المنقطعة ص ١٦٠، بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢٤.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢٤ وما بين حاصرتين منه.

ببيع له بالخلافة بعد قتل الأمر بأحكام الله، وكان الحافظ لدين الله رجلاً حليماً لين الجانب، قليل الأذى، فطمعت فيه الرعية والفلاحون وامتنعوا عن وزن الخراج، واستولت الفرنج على البلاد وكثر الفساد^(١).

ثم جاء إلى مصر في أيامه الشيخ أبو عبد الله الأندلسي من المغرب، وكان له يد طائلة في علم السيمياء، ثم لما سمع به الحافظ أحضره بين يديه، وقال له: أرنا شيئاً من علمك، فامتنع من ذلك، فألح عليه في ذلك [فقال له: غمض عينك وافتحها، فغمض عينه وفتحها فرأى مساحة القصر كأنها لجة ماء وفيها سفينة كبيرة، وحولها شوانى حربية، فوقع بينهما الحرب والقتال، فكانت السيوف تلمع والقسي ترمى بالسهام، والبنود تخفق، والرءوس تهدر، والدماء تسيل، فلا يشك الناظر في حقيقة ذلك، ثم إن أصحاب السفينة، سلموا إلى أصحاب الشوانى، فساروا بها والطبول تضرب، والبوقات تزعق، حتى غابوا عن الأبصار، ثم ذهبت تلك اللجة التي كانت في القصر، وعاد كما كان^(٢)، والحافظ ينظر ويتعجب في ذلك غاية العجب، فقال العسكر للحافظ: اقتل الشيخ، وإلا يفسد عليك عقول العسكر، فقال الحافظ للشيخ: إن العسكر يريدون قتلك، فانظر ماذا تفعل معهم؟ فقال الشيخ للحافظ: مرهم أن ينصرفوا إلى بيوتهم، فأمرهم بالانصراف، فلما خرجوا ليركبوا خيولهم وجدوها كالأثوار العظيمة، وكل ثور له قرنان عظيمان، فلم يستطع أحد أن يركب دابته، قال: فرجعوا إلى الحافظ وأخبروه بذلك، فقال لهم الحافظ: أفدوا خيولكم كل واحد بشيء يعطيه للشيخ، فإنه يعيدها لكم، فأعطوه كل واحد منهم مبلغاً فرجعوا إلى خيولهم فوجدوها خيلاً كما كانت^(٣).

وقيل: إن الحافظ كان يشتكى بألم القولنج، فصنع له الحكيم شيرما الديلمي، طبل باز من سبعة معادن وعليه رصد، فإذا حصل لأحد قولنج فيدق عليه فيخرج منه ريح غليظ

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢٤.

(٢) النص فيه تحريف وسقط في الأصل، وقد اعتمدنا في تكملة النص وتصويبه على ما جاء ببداية الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢٥.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢٦.

فيبراً لوقته، فكان ذلك بسبب الخليفة، فكان إذا تحرك عليه القولنج يدق على ذلك الطبل باز، فيخرج منه ريح فيبراً^(١).

قيل: لما تولى صلاح الدين يوسف بن أيوب استعرض حواصل الخلفاء الفاطمية، فوجد ذلك الطبل باز في علبة، فأخذه بعض الأكراد، وضرب عليه فصرط وخرج منه ريح فسمعه الناس فخبجل واستحيا وأرمى الطبل في يده [على الأرض] فانكسر وبطل فعله من ذلك اليوم، فندم على كسره صلاح الدين يوسف غاية الندم^(٢).

ثم مرض في جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة، وكانت مدة خلافته تسع عشرة سنة وسبعة أشهر^(٣).

[خلافة الظاهر بالله أبي المنصور إسماعيل]

[ابن الحافظ ابن المستنصر بالله]

ثم تولى من بعده ولده الظاهر بالله.

وهو التاسع من الخلفاء الفاطمية بنى عبيد الله، تولى الخلافة، وهو شاب جميل الصورة، وكان له من العمر سبع عشرة سنة^(٤).

وهو الذى بنى جامع الفكاكين بالشوئين.

فلما تولى اشتغل باللهو والطرب وشرب الخمر، وكان وزيره عباس مدبر المملكة، ثم إنه كان للوزير عباس ولد جميل الصورة فامتحن به الخليفة وأحبه حباً شديداً، فكان ينزل إلى بيته وينام عنده، حتى أنه أعطى الولد فى وقت واحد ذهباً وفضة وقماشاً وفصوصاً ومعادن ونوافج مسك وخيلاوعبيدا وغير ذلك بنحو مائة ألف دينار^(٥).

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢٦.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢٦ وما بين حاصرتين منه.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢٦.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢٧.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢٧.

ثم إن الوزير وولده قتلا الظافر بالله والقوه في بئر تحت الليل، فلما أصبح الصباح سأل الوزير من الخدام حيلة، وقال لهم: أين الخليفة، فقالوا له: اسأل ابنك نصرًا عنه^(١).

[خلافة الفائز بنصر الله]

ثم دخل الوزير إلى قصر الخليفة فأخرج الأمير عيسى ابن الظافر وأحضر القضاة وقال لهم: إن الخليفة قد نزل الباحة في مركب يتفرج فانقلبت به المركب ففرق، ولم يعلم له مكان.

ثم أحضروا للأمير خلعة سنية وألبسه إياها وولاه مكان أبيه ولقبه الفائز بنصر الله^(٢).

فلما أشيع بين العسكر أن الوزير عباسًا قتل الظافر وولى ولده، انقلبوا العسكر على الوزير عباس واستمر الفائز متوليًا بمصر مكان أبيه، فخاف من الوزير عباس كون أنه سمع من العسكر أنه قتل أبيه، فاتفق الفائز مع جماعة أبيه أنه يقتل الوزير عباسًا وولده نصرًا، وقالوا: إن لم تقتله وإلا قتلك أنت الآخر مثل ما قتل^(٣) إباك.

فسمع الوزير عباس بذلك ففتح الخزان وأخذ منها ما قدر على حمله من نقد وجواهر وغير ذلك، وأخذ ولده نصرًا وهرب إلى جهة الشام، فخرجوا عليه جماعة من الفرنج فأخذوه وولده وجميع ما كان معهما من الأموال^(٤).

ثم جاءت الأخبار بذلك، فأحاط الخليفة على جميع موجودات الوزير عباس، وأخذ ذلك كله.

ثم وُلِّيَ شخصًا وزيرًا يسمى طلائع بن رزيك، عوضًا عن عباس المذكور، ولقبه بالصالح بالله، وأخلع عليه وأطاعته جميع العساكر، وكانت سيرته حسنة وأحبه حبا شديدًا، ثم بنى جامع الصالح الذي بباب رويلة^(٥).

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢٨.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢٨.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢٩.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢٩.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢٩.

وكانت الوزراء تتلقب باللقاب الخلفاء^(١).

ثم أرسل إلى طائفة الفرنج الذين أخذوا الوزير يطلبه منهم، فأرسل إليهم هدية عظيمة فقبلوها منه، وأرسلوا له الوزير عباساً وولده نصرًا في الحديد، فلما وصلا إلى القاهرة كان لهما يوم عظيم لم ير مثله، فأمر بصلبهما على باب القصر، فصلبا بعد العصر، وأخذ الخليفة بثأر أبيه^(٢).

ثم في أيام الفائز^(٣) نقلت رأس الحسين من عسقلان إلى القاهرة في سنة تسع وأربعين وخمسمائة، وسبب نقلها أن الفرنج لما استولوا على عسقلان خاف المسلمون على رأس الحسين فجعلوها في علة وأحضرها إلى القاهرة، فبنى الفائز المشهد ودفنوها فيه^(٤).

ثم إن الفائز عرض عسكره ذلك اليوم نحو خمسين ألف مقاتل مختلفي الاجناس، وعدة المراكب عشرة آلاف مركب للقتال مشحونة بالرجال والسلاح بسبب الجهاد، وذلك مع تلاشي الخلفاء الفاطمية وضعف شوكتهم.

واستمر الفائز متوليًا بمصر حتى مرض ومات يوم الجمعة سابع شهر رجب سنة خمس وخمسين وخمسمائة، مات مطعونًا، وله من العمر إحدى عشرة سنة^(٥).

[خلافة العاضد لدين الله (أبي محمد عبد الله)]

ثم تولى من بعده وكدَّ عمه عبد الله العاضد لدين الله، ولقب بأبي محمد عبد الله ابن الحافظ ابن المستنصر، الحادى عشر من الخلفاء الفاطمية بنى عيد الله^(٦).

بويج بالخلافة في رجب سنة خمس وخمسين وخمسمائة^(٧).

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢٣. (٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢٩.

(٣) أورد ابن إياس ذلك في عهد الظاهر ج ١ ق ١ ص ٢٢٧، وانظر في ذلك: طبقات المناوى ج ١ ص ١٠٤.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٢٧.

(٥) أخبار الدول المنقطعة ص ١٧٨، التويرى ج ٢٨ ص ٢٢٢، بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٣٠.

(٦) النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ص ٩٣، بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٣٠.

(٧) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٣٠.

قيل: إن المعز لما قدم إلى الديار المصرية طلب [بعض] علماء مصر فقال لهم: اكتبوا لى القاباً تصلح للخلافة، حتى إذا تولى منّا أحد يلقب بها، فكتبوا له القاباً كثيرة أحدها العاضد بالله، فاتفق أن آخر من تولى منهم الخلافة العاضد بالله، ثم انقرضت دولتهم^(١).

واستمر الصالح طلائع بن رزيك فى الوزارة حتى وثبوا عليه العبيد الزنج وهو طالع إلى القلعة فقتلوه، ودفن بالقرافة الكبرى^(٢).

ثم تولى من بعده الوزارة شاور بن مجير السعدى^(٣).

ثم عزل وتولى من بعده الوزارة أسد الدين شيركوه، عم صلاح الدين يوسف، عوضاً عن السعدى، ثم إن أسد الدين صلب الوريث شاور بن مجير السعدى على باب القاهرة^(٤).

ثم لما مات أسد الدين تولى الوزارة صلاح الدين يوسف بن أيوب، فلما تولى ضعفت شوكة العاضد، ومال العسكر جميعه مع صلاح الدين يوسف^(٥).

ثم إن نور الدين الشهيد لما كان بالشام أرسل يقول لصلاح الدين: اقطع اسم الخليفة العاضد من الخطبة بمصر فقطعها، فانقهر العاضد بسبب ذلك، وبلغ فص ماس فمات فى يومه، يوم الاثنين عاشر المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة، وكانت مدة خلافته بمصر اثنتى عشرة سنة، وبه انقرضت دولة الخلفاء بنى عبيد الله، فكانت مدتهم نحو مائتى سنة وست سنين^(٦).

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٣١ وما بين حاصرتين منه.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٣١.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٣١.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٣٢.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٣٤.

(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٣٦.

أذكر ابتداء دولة الأكراد من بنى أيوب

واستولوا دولة الأكراد من بعدهم، فكان أولهم الملك الناصر أبو المظفر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذى بن مروان الكردى فى بلاد الكرج^(١).

وكان أبوه أيوب فى خدمة زنكى أبى نور الدين الشهيد، فلما توفى زنكى صار أيوب وأولاده فى خدمة نور الدين الشهيد^(٢).

ثم ارتقى نور الدين الشهيد حتى بقى صاحب البلاد الشامية، ثم تلاشى أمر الخليفة العاضد قبل موته واستولت الفرنج على الديار المصرية فأرسل يطلب من نور الدين الشهيد نجدة فأرسل إليه أسد الدين شيركوه، عم صلاح الدين، فلما توفى أسد الدين تولى من بعده الوزارة فى أيام العاضد صلاح الدين يوسف نيابة عن نور الدين الشهيد تقليدا منه^(٣).

وكان سبب موت العاضد أن نور الدين الشهيد لما أرسل يقول له: اقطع الخطبة عن اسم العاضد من مصر وأعمالها، وكان صلاح الدين وزير العاضد بالله، فأرسل صلاح الدين يقول لنور الدين الشهيد إن أهل مصر لم يرضوا بذلك^(٤).

فجمع أعيان مصر، وذكر لهم ما قاله نور الدين الشهيد فامتنعوا من ذلك، فقام شخص عجمى من أهل العلم وطلع إلى المنبر يوم الجمعة قبل صلاة الجمعة ودعا للخليفة المستضىء بالله العباسى، خليفة بغداد، فسكتوا ولم ينكروا عليه^(٥).

وفى ثانى جمعة أمر صلاح الدين خطباء مصر أن يدعوا باسم الخليفة المستضىء بالله العباسى ويسكتوا عن اسم العاضد^(٦).

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٣٧.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٣٧.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٣٧.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٣٤.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٣٥.

(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٣٥.

فلما بلغ العاضد ذلك بلغ فص الماس فمات فى يومه، ودفن فى عاشر المحرم^(١).

فكتب نور الدين الشهيد تقليدًا لصلاح الدين يوسف نيابة عنه واستولى على حواصل الخلفاء الفاطمية واستعرض ما فيها من السلاح والأموال وأرسل ما استحسّن من كل صنف [لنور الدين الشهيد] واصطفى لنفسه ما اختاره، حتى قيل: أقام نحو عشر سنين يبيع ما فضل من الخزائن، وهو لا يفرغ^(٢).

واستمر صلاح الدين متولياً على مصر نائباً عن نور الدين الشهيد حتى مات نور الدين الشهيد فى سنة تسع وستين وخمسائة، ودفن بدمشق [بجامع] الكلاسة^(٣).

وكان يلقب بالملك العادل المرباط المجاهد فاتح بيت المقدس من يد الفرنج والشغور الإسلامية، من البلاد الشامية، وهو الذى ردّ لبنى العباس الخطبة بمصر وأعمالها، وأبطل اسم الفاطمية^(٤).

ثم لما توفى نور الدين الشهيد انفرد صلاح الدين بمملكة الديار المصرية، والبلاد الشامية، وصفا له الوقت، وأزال من مصر العساكر الدثية، ما بين مغاربة ومصامدة وأرمن وشناترة [العرب] وعبيد سود، واتخذ عسكرًا من الأكراد، وكان عددهم اثنى عشر ألف فارس من شجعان الرجال^(٥).

أسقط جميع المكوس الحادثة فى أيام الدولة الفاطمية، وكتب بذلك مساميح بخط القاضى عبد الرحيم الفاضل، وقرئت على المنابر فى الجوامع بعد صلاة الجمعة، فكان قدر ما أبطله فى كل سنة مائة ألف دينار، فضجوا الناس له بالدعاء، وكان يومًا عظيمًا^(٦).

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٣٦.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٣٧ وما بين حاصرتين منه.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٤٠ وما بين حاصرتين منه.

(٤) بعد ذلك خبر خاص بحوادث سنة ٥٧٨ كما أورده ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٢٤٤ فى سلطنة الناصر صلاح الدين وليس مكانه هنا ولا يصح إيراده وسط هذه الأحداث الخاصة بصلاح الدين، وقد نسبته المؤلف إلى الحوادث التى كانت فى عهد نور الدين الذى انتقلت إليه الإمارة سنة ٥٤٢هـ.

(٥) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٢٤١، ٢٤٢، وما بين حاصرتين منه.

(٦) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٢٣٨.

قال ابن الأثير: وفي سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة أمر الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ببناء السور بالحجر الفص النحيت، وكان القائم على البناء الأمير بهاء الدين قراقوش^(١).

وأبطل السور القديم الذي بناه جوهر القائد، فكان دور السور الذي بنى تسعة وعشرين ألف ذراع، وعدة أبوابه المصفحة بالحديد خمسة عشر بابًا، غير أبواب السور، وكان باب رويلة يسمى باب الفاضل، والباب القديم عند سيدى سام بن نوح، عليه السلام، والغرابلين^(٢).

ثم بنى قلعة الجبل وأبطل قصر الزمرد الذي بدار الضرب^(٣).

ثم مات صلاح الدين ولم يتم بناء القلعة، وإنما أكمل بناءها الملك الكامل، ابن أخى الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب، وهو أول من سكن بقلعة الجبل من بنى أيوب^(٤).

ثم جاءوا الفرنج فى أيامه إلى ثغر دمياط فى مائتى مركب مملوءة بالعساكر، فخرج إليهم صلاح الدين بعساكر كثيرة من مصر، وقاتلهم وانهزموا بإذن الله تعالى، ورجعوا إلى بلادهم^(٥).

وفى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة انخسفت المغارة التى فيها إبراهيم الخليل مدفونًا، فنزلوا إليها جماعة فوجدوا بها السيد الخليل لإبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، وقد بليت أكفانهم وهم مستندون إلى حائط المغارة وأجسادهم طرية لم تبلى، وعلى رؤوسهم قناديل من ذهب وفضة، فلما بلغ الملك الناصر صلاح الدين ذلك أمر بأن تجدد لهم أكفان بيض، وهذه الواقعة نقلها الهروى فى كتاب «الإشارات فى معرفة الزيارات»^(٦).

(١) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٢٤٢.

(٢) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٢٤٢.

(٣) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٢٤٢.

(٤) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٢٤٢.

(٥) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٢٤٣.

(٦) الهروى: الإشارات ص ٣٠. وهذا الخبر وضعه ابن إياس فى سلطنة صلاح الدين، وهو المناسب للتسلسل الزمنى للحوادث، وقد أكرت إيراده هنا كما ورد لديه، وقد وضع فى الأصل فى الحوادث المعاصرة لنور الدين.

[وفى سنة ثمان وثمانين] توجه صلاح الدين من هناك إلى الشام فخرجوا أهل الشام وفرحوا به، ونزل الميدان الكبير، وجاءوا له أرباب الملاعب وفيهم شخص أعجمي يعرف علم الشعبذة، فوقف بين يديه وأخرج من رأسه كبةً خيط ونصب خيمة وحذف الخيط في الهواء، ثم تعلق فيه وصعد حتى غاب عن الأبصار^(١).

ثم سقطت رجله اليمنى مقطوعة تزحف على الأرض حتى دخلت في الخيمة، ثم سقطت رجله اليسرى مقطوعة تزحف على الأرض حتى دخلت الخيمة، ثم سقطت يده اليمنى مقطوعة تزحف على الأرض حتى دخلت الخيمة، ثم سقطت يده اليسرى تزحف على الأرض حتى دخلت الخيمة، ثم سقطت الرأس مقطوعة تزحف على الأرض حتى دخلت الخيمة، ثم بعد ذلك خرج الرجل من داخل الخيمة يمشى صحيحًا سويًا كما كان، وقبل الأرض بين يدي الناصر، فبهتوا الناس وتعجبوا من فعله^(٢).

ثم دخل الخيمة ثانيًا فقال رفيقه للحاضرين: ادخلوا الخيمة وأخرجوا رفيقي الذي دخل فيها، فدخلوا وفتشوا عليه فلم يجدوا فيها أحداً^(٣).

ثم فكوا الخيمة ونصبوها في مكان آخر فخرج الرجل منها فتمعبوا من ذلك^(٤).

قال الأمير سنقر الأخطاى للملك الناصر: مثل هذا يكون جاسوسًا للفرنج، فقام إليه وضرب عنقه بالسيف، وأراد أن يقتل رفيقه فحلف أنه لا يعرف شيئًا من هذه الصناعة، واستجار بالملك الناصر فأجاره، ثم أمره بالخروج من دمشق في ذلك الوقت^(٥).

قال ابن الأثير: إن الملك الناصر هو الذي قرر الطواشية^(٦) خدامًا في الحجرة النبوية، فجعل عليهم شيخًا يسمى شيخ الحرم، وأوقف عليهم بلدين في الصعيد: نقادة وقبالة، على فقراء الحرمين الشريفين، واستمروا إلى الملك الأشرف برسباي^(٧).

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٤٥.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٤٥.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٤٥.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٤٥.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٤٦.

(٦) الطواشية: هم الخصيان الذين استخدموا في الطبايق المملوكة، وفي الحرم السلطاني.

(٧) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٤٣.

وأنشأ الملك الناصر صلاح الدين يوسف الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء قرياً من باب النصر بالقاهرة، والمدرسة السيوفية بباب الزهومة، وأنشأ المارستان الذى بدار الضرب القديم، والمدرسة التى بجوار الإمام الشافعى رحمته الله، والمدرسة الصلاحية بالقدس الشريف^(١).

ثم مرض ومات بالشام ودفن بمدرسة مجاهد الدين، وله من العمر نحو إحدى وسبعين سنة، وتوفى فى سنة تسع وثمانين وخمسمائة، ومدة سلطته نحواً من أربع وعشرين سنة، وخلف سبعة عشر ولداً ذكرنا من صلبه^(٢).

وأفنى جميع ما ملكه قبل موته فى الجهاد والغزوات، ولم يخلف شيئاً من الدنيا سوى أربعين ألف درهم فضة.

[سلطنة الملك العزيز بالله عماد الدين عثمان]

ابن الملك الناصر صلاح الدين]

ثم تولى من بعده ابنه العزيز عثمان ولقبه الملك العزيز بالله عماد الدين أبو الفتح عثمان ابن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، ولى ابنه الأفضل على دمشق، وولى ابنه المظفر غازى على حلب، وولى ابنه العزيز عثمان على مصر، فحصل منه غاية الضرر للمسلمين، ثم تجاهر بالمعاصى والفسق وشرب الخمر^(٣).

ثم إنه خرج يوماً يصطاد فلاح له ظبى فساق خلفه فكبا به الفرس فدخل قريوس السرج فى بطنه فمات من ساعته، فحُمِلَ إلى القاهرة ودفن عند الإمام الشافعى رحمته الله، فكانت مدة سلطته بمصر نحو سبع سنين وأشهر^(٤).

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٤٢.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٤٧.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٥٠.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٥٢.

[سلطنة الملك المنصور محمد ابن الملك العزيز عثمان]

ثم تولى من بعده ابنه الملك المنصور محمد ابن الملك العزيز عثمان ابن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب.

وهو الثالث من ملوك بنى أيوب، وكان القائم بأمر دولته الأمير بهاء الدين قراقوش صاحب الحارة المنسوبة إليه، واستمر الملك المنصور فى السلطنة مدة يسيرة، وتغلّبت عليه أعمامه بسبب السلطنة وجرى بينه وبينهم حروب وأمور عظيمة، يطول شرحها، ثم خُلِعَ من السلطنة ووُضِعَ فى السجن بقلعة الجبل حتى مات، ودُفِنَ بالقرافة، فكانت مدة سلطته بمصر نحو عشرة أشهر^(١).

[سلطنة الملك العادل سيف الدين أبى بكر]

ابن الأمير نجم الدين أيوب بن شادى

ثم تولى من بعده عم أبيه الأمير أبو بكر بن أيوب، ولقب بالملك العادل سيف الدين ابن الأمير نجم الدين أيوب بن شادى.

[وهو] الرابع من ملوك بنى أيوب فى سنة ست وتسعين وخمسمائة^(٢).

وفى سنة ست وتسعين وخمسمائة ولد فيها سيدى أحمد البدوى، نفع الله به.

ثم وقع فى هذه السنة غلاء عظيم بسبب توقف البحر حتى صار كل إردب بمائة دينار، وأكل فى تلك السنة الكلاب والقطط والحمير والبغال والخيول والجمال، ثم حصل فناء عظيم ذهب فيه ثلثا الناس، حتى لم يجدوا فلاحين يزرعون الطين^(٣).

وصار العسكر هم الذين يزرعون ويحصدون ويدرسون ويتعاطون المصالح بأنفسهم،

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٥٢.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٥٣.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٥٤.

حتى أن الملك العادل أبا بكر بن أيوب كفن أموالاً من ماله من الغريباء في مدة يسيرة نحو مائتين وعشرين ألف إنسان، غير من مات من أهل البلد ولم يعرف لهم عدد^(١).

ثم تراجع الأمر وتناقص، ثم خرج الملك العادل أبو بكر إلى نحو الشام يتفقد أحوال الناس، فمرض هناك ومات ودُفن بدمشق في سنة خمس عشرة وستمائة، ومدة سلطته بمصر ثمان عشرة سنة وتسعة أشهر^(٢).

وفي أيامه توفي مؤيد الدين الطغراني صاحب لامية العجم كان فاضلاً شاعراً^(٣).

سلطنة الملك الكامل ناصر الدين محمد

ابن الملك العادل (أبي بكر بن أيوب)

ثم تولى من بعده الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب.

وهو الخامس من ملوك بني أيوب بويع بالسلطنة يوم الجمعة سابع جمادى الآخر سنة خمس عشرة وستمائة^(٤).

استولى على ملك مصر أربعين سنة، نصفها في حياة أبيه، ونصفها بعد موت أبيه استقلالاً^(٥).

وكان يكثر من الإقامة في وادى العباسية وكان يقول: أنا أحب الإقامة في العباسية كون أنى اصطاد الطير من السماء، والوحوش من الفلاة، والسماك من الماء، وتصل إلى أخبار مصر في النهار مرتين، وأنشأ فيها بساتين وقناطر عظيمة^(٦).

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٥٤.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٥٧.

(٣) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٢٥٥.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٥٨.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٥٨.

(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٥٨.

وفى أيامه توفى الشيخ أبو الحسن الدينورى، من أكابر الأولياء، كان له كرامات خارقة، ودُفن بالقرب من الجبل المقطم فى القعدة سنة ست عشرة وستمئة.

وقيل: جاء شخص مغربى إلى شخص من الأعيان، ثم أظهر بستاناً عظيماً خارج القاهرة لم ير مثله من كثرة أشجاره وأثماره وسواقيه وأثواره^(١) فباعه له بألف دينار، وأشهد عليه، وقبض المغربى الألف دينار وسلمه البستان بجميع ما فيه ثم فارقه، ونام الرجل فى البستان تلك الليلة فلما أصبح وجد نفسه بين الكيمان، ولم يجد شيئاً، وصار يسأل من الناس: هل كان هنا بستان؟ فيقولون له: لا، حتى نسبوه إلى الجنون^(٢).

ثم طلع إلى الملك وأخبره بذلك، فسأل عن المغربى فدوروا^(٣) عليه فلم يجدوه أصلاً، فتعجبوا الناس من هذه الحادثة عجباً عظيماً^(٤).

وكان من جملة الجندارية الذين فى خدمة الملك العادل شخص يسمى شمائل، يمشى فى ركابه ليلاً ونهاراً لا يفارقه أصلاً، حتى أنه كان يسبح فى البحر ليلاً ويأتى بأخبار الفرنج، ثم ولاه بعد ذلك، وكان له خزان يحبس الناس فيها فسميت به من ذلك اليوم^(٥).

وقيل: إن الفرنج جاءوا فى أيام الملك الكامل إلى ثغر دمياط فى مائتى مركب ملائمة مقاتلين، ثم وقع بين الفرنج وبين المسلمين مقتلة عظيمة، ثم إنهم ملكوا دمياط وأقاموا فيها ثلاث سنين وأربعة أشهر وتسعة عشر يوماً، والملك الكامل معهم فى حرب ليلاً ونهاراً^(٦).

ثم بعد ذلك طلبوا الصلح، ويحلف ملك الفرنج يميناً والملك الكامل يميناً أن كل واحد منهم يرسل من عنده من رهائن ويطلقون الأسارى من المسلمين ومن الفرنج.

فأرسل ملك الفرنج رهائنه إلى الملك الكامل، عشرين ملكاً من ملوك الفرنج، وأرسل الملك الكامل ولده نجم الدين مع جماعة من الأمراء، وأطلقوا جميع من كان

(١) يقصد: الثيران: جمع ثور.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٦٤.

(٣) من التعبيرات الشائعة فى عصر المؤلف وهو من الأساليب العامة.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٦٥.

(٥) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٢٦١.

(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٦٢.

عندهم من المسلمين من الأسارى من أيام الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب، وكذلك الملك الكامل أطلق من كان أسيراً من الفرنج، ووقع الصلح على ذلك^(١).

ثم بعد ذلك وصل إلى الفرنج نجدة عظيمة من بلاد الفرنج فى مائتى مركب فوجدوهم بقدره الله قد اصططحوا وسلموا البلد، فله الحمد والمنة على عدم وصولهم قبل الصلح^(٢).

ثم لما تسلم الملك الكامل دمياط ودخل إليها كان ذلك اليوم يوماً عظيماً مشهوداً، وكانت النصره فى سنة ثمانى عشرة وستمئة من الهجرة^(٣).

ثم حضر إلى عند الملك الكامل أخواه: الملك المعظم عيسى صاحب دمشق، والملك الأشرف موسى شاه صاحب حلب وماردين، واجتمعوا فى القصر الذى أنشأه الملك الكامل فى المنصورة، وكان ابتداء عمارة المنصورة فى سنة ست عشرة وستمئة^(٤).

ثم رجع الملك الكامل ودخل مصر ومعه أخواه، وكان يوماً عظيماً مشهوداً لم يُسمع بمثله، ثم أقام عنده أياماً قلائل، ثم توجهوا إلى ممالكهما^(٥).

وأقام الملك الكامل حتى بدأ بعمارة المدرسة الكاملية التى بين القصرين، فلما انتهت عمارتها سماها دار الحديث^(٦).

وسبب بنائها أنهم لما حفروا أساسها وجدوا صندوقاً فيه صنم كبير من ذهب، فأمر الملك الكامل بسبكه وصرفه على المدرسة المذكورة وبناء القبة التى على الإمام الشافعى رحمه الله، وبناء الحوض الذى هناك على الطريق^(٧).

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٦٢.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٦٢.

(٣) النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٣٢.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٦٢.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٦٣.

(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٦٤.

(٧) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٦٤.

ثم لما ماتت أم الملك الكامل دُفنت داخل قبة الإمام الشافعى رحمته الله ونفعنا به وبعلمه^(١).

ومات فى أيامه القاضى كمال الدين ابن النبيه، كان عالماً فاضلاً شاعراً، مدح بنى أيوب بقصائد عظيمة مشهورة.

وفى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة فى ثانى جمادى الأول توفى الشيخ شرف الدين عمر ابن الفارض، رحمه الله، ودُفن بالقرافة الصغرى تحت العارض بجوار الجبل المقطم، وكان مولده بالقاهرة فى رابع ذى القعدة سنة سبع وسبعين وخمسمائة، فكانت مدة حياته أربعاً وخمسين سنة وستة أشهر وأياماً، وأصله من حماة^(٢).

وكان والده الشيخ شمس الدين من أكابر العلماء، انفرد بعلم الفرائض فسمى بذلك ابن الفارض.

وانفرد الشيخ شرف الدين بعلم التصوف، وعاصر الشيخ أبا القاسم المنفلوطى، والشيخ شرف الدين بن أبى المنصور، والشيخ شمس الدين الأيكى شيخ خانقاه سعيد السعداء الحنبلى المحدث، والشيخ أمين الدين الرقاقى، والشيخ جمال الدين الأميوطى، والشيخ شهاب الدين السهروردى، والشيخ شهاب الدين الجعبرى، والشيخ شمس الدين ابن خلكان.

وكانوا جميعاً يتأدبون مع الشيخ شرف الدين عمر ابن الفارض، ولم ينكروا عليه فى أقواله^(٣).

ودفن تحت رجله الشيخ محمد البقال.

ثم كان الشيخ شرف الدين عمر مقيماً بالجامع الأزهر، وخرج يوماً متوجهاً إلى جامع عمرو بن العاص بمصر القديمة فأحضروا للشيخ مكارى يركب على حماره، فقال له الشيخ: كم تأخذ أجرة حمارك منى، فقال له: بلا مقاوله، اركب على فتح الله، فركب الشيخ حماره وتوجه، فلما كان فى أثناء الطريق لقيه بعض الأكابر فنزل عن فرسه وقبّل يد

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٦٤.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٦٦.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٦٧.

الشيخ وانصرف، ثم أرسل له مع غلامه صرة فيها مائة دينار، فقال الشيخ: ادفعها يا غلام لصاحب الحمار، وقل له: لو جاءنا أكثر من ذلك دفعناه لك.

ثم إن الملك الكامل خرج متوجهاً إلى دمشق، فأقام بها مدة ومرض ومات هناك، ودُفن بدمشق في العشرين من شهر رجب سنة خمس وثلاثين وستمئة^(١). وكانت مدة سلطته بمصر عشرين سنة^(٢).

[سلطنة الملك العادل سيف الدين أبي بكر]

ثم تولى من بعده الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن نجم الدين أيوب^(٣).

وهو السادس من ملوك بني أيوب، ثم لما تولى الملك العادل راح^(٤) الخير إلى أخيه نجم الدين وكان بحلب نائباً، فشق عليه ذلك، فحضر إلى القاهرة في أسرع وقت، وانفرد العسكر فرقتين معهما، ثم تحاربا مدة، ثم قويت شوكة نجم الدين على أخيه الملك العادل فخلعه من السلطنة وسجنه بقلعة الجبل حتى مات، فكانت مدة سلطته بمصر سنة وشهرين^(٥).

[سلطنة الملك الصالح نجم الدين أيوب]

ثم تولى من بعده أخوه نجم الدين الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن نجم الدين أيوب^(٦).

وهو السابع من ملوك بني أيوب ملوك مصر، بويع بالسلطنة يوم الاثنين خامس عشرين ذي القعدة سنة ست وثلاثين وستمئة^(٧).

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٦٨.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٦٨.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٦٨.

(٤) أبقى هذا التعبير على ما هو عليه للدلالة على سمات أسلوب هذا العصر.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٦٨.

(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٦٩.

(٧) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٦٩.

فلما أقام فى الملك اشترى الممالك الأتراك، ثم فسد حالهم وصاروا ينهاون بضائع الناس وأسبابهم، فشكوا إليه فأخرجهم من مصر، وبنى قلعة قريبة من المقياس وأمرهم بالإقامة فيها، حتى إذا حصل سفر أرسلهم فيه، وكانت عدتهم ألف مملوك، ثم أجرى لهم جوامك ورواتب، وصاروا مقيمين فيها، وهى باقية إلى الآن آثارها^(١).

ثم خرجوا جماعة من الممالك هارين إلى ناحية تيه بنى إسرائيل، فتأهوا خمسة أيام، ثم فى اليوم السادس رأوا سوادًا عظيمًا، فإذا هى مدينة عظيمة، وفيها أبواب مبنية بالرخام الأخضر، فطافوا بها فوجدوا بها حوانيت، وفيها صهاريج ملأه ماء أحلى من العسل، وأبرد من الثلج.

ثم إنهم فتحوا الحوانيت فوجدوا فيها ذهبًا مكتوب عليه خط قديم فأخذوه وخرجوا من المدينة وساروا ليلة كاملة، فلما طلع النهار صادفهم طائفة من العربان حملوهم إلى مدينة الكرك، فأخرجوا تلك الدنانير للصيارف ليصرفوها فوجدوا مكتوبًا عليها اسم موسى عليه السلام^(٢).

وكان يقال: إن هذه المدينة تسمى المدينة الخضراء، من مدائن بنى إسرائيل، فتارة ينكشف عنها الرمل وتارة يعلوها فلم يرها أحد^(٣).

وفى سنة أربع وأربعين وستمائة بنى الملك الصالح نجم الدين أيوب مدينة على أطراف الرمل وسماها الصالحية، ثم بنى المدرستين تجاه باب الصاغة وسماهما الصالحيتين النجميتين، وهما قلعتا العلماء^(٤).

ثم إن الأمير شهاب الدين يغمور والى القاهرة أمر بشنق عشرين رجلاً كانوا يقطعون الطرقات ويقتلون الناس، وجعل عليهم حرسًا يحرسونهم، فغفلوا عنهم ساعة ثم عدوهم فوجدوهم تسعة عشر رجلاً، فخافوا على أنفسهم من الوالى، وإذا بشخص قد أقبل عليهم

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٦٩.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٩٢.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٩٢.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٧٢، ٢٧٥.

فى الليل ىمشى مستخفياً، فقاموا إلیه الخفراء ومسكوه وشنقوه عوضاً عن ذلك المشنوق الذى لم یجدوه^(١).

ثم لما أصبح الصبأه جاء الوالى وعدهم فإذا هم واحد وعشرون رجلاً، فقال للخفراء: ومن هذا الرجل الزائد الذى معهم؟ فبهتوا الخفراء، فقال لهم: ما شأنكم؟ فقالوا: یا امیر قد عدیناهم فى الليل فرأیناهم ناقصین واحداً، فمرّ بنا هذا الرجل فمسكناه وشنقناه معهم، فقال الامیر شهاب الدین: أرونى هذا الرجل المسکین الذى وقع لكم، فلما رآه وجده شخصاً قاطع طریق وله مدة یتطلبه، فلم یقع له ولا قدر على تحصیله، فلما رآه سرّ به وتعجب من هذه الواقعة الغریبة^(٢).

وفى هذه السنة تُوفى الشیخ أبو السعود بن أبى العشائر القرشى الواسطى، ودُفن بالقرافة الصغرى، هكذا ذكره الشیخ عبد العظیم المنذرى^(٣).

ثم إن الملك الصالح صفا له الوقت وكثرت ممالیکه، وطالت أيامه ثم قتل أخاه الملك العادل الذى كان مسجوناً بقلعة الجبل فى ثالث شهر شوال سنة سبع وأربعین وستمائة، ودُفن عند الإمام الشافعى لیلة الأحد رابع شهر شعبان سنة سبع وأربعین وستمائة^(٤).

ثم إن الله تعالى ابتلى أخاه الملك الصالح بأكلة فى وجهه، واستمر یتزايد به المرض حتى مات فى التاریخ المذكور ودُفن عند الإمام الشافعى رحمته الله^(٥). وكانت مدة سلطنته تسع سنین وسبعة أشهر وأحد عشر يوماً^(٦).

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٧٥.

(٢) ورد هذا الخبر مضطرباً ومحرّفاً فى الأصل، وقد اعتمدنا فى تعدیله وتصویبه على ما جاء ببدايع

الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٧٥، ٢٧٦.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٧٦.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٧٧.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٧٧.

(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٧٩.

[سلطنة الملك المعظم مغيث الدين توران شاه]

ثم تولى من بعده الملك المعظم تورانشاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب^(١).

وهو الثامن من ملوك بنى أيوب بمصر، بويغ بالسلطنة يوم الجمعة مستهل محرم سنة ثمان وأربعين وستمائة^(٢).

ورُيِّت له القاهرة سبعة أيام ودُفَّت له الكوسات^(٣)، ونُودى باسمه والرحمة على والده^(٤).

فسمعت الفرنج بذلك فزحفوا على فارسكور، وقد اجتمعوا الأمراء وتحالفوا على الجهاد فى سبيل الله، فلما كان ثانى عشر شهر المحرم خرجوا الأمراء لأجل القتال، وهم: الأمير بيبرس البندقدارى، والأمير لاجين، ومعهم السواد الأعظم من العوام والفلاحين وغير ذلك، وبأيديهم المقاليح والحجارة، وهجموا الممالك البحرية وفى أيديهم السيوف والدبابيس والرماح، وطائفة يرمون بالنشاب على الفرنج، ثم حملوا على الفرنج حملة واحدة، وكانت ساعة تشيب لها الرأس، وانكسروا الفرنج بعون الله تعالى وولوا مدبرين^(٥).

فكان عدة من استشهد فى هذه الواقعة من الأمراء الكبار سبعة وستين أميراً، خارجاً عن الممالك، ومن العوام ما لا يحصى عددهم إلا الله تعالى^(٦).

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٧٩.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٧٩.

(٣) الكوسات: صنوجات من نحاس تشبه الترس الصغير، يدق بأحدهما على الآخر بإيقاع مخصوص، والكوسى هو الذى يضرب بالكوسات.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٧٩.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨٠.

(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨٠.

وَقُتِلَ مِنَ الْفَرَنْجِ عَلَى فَارِسْكَورَ نَحْوَ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ إِنْسَانٍ، وَأَسْرَ مِنْهُمْ سَبْعَةٌ مَلُوكٌ^(١).

وَغَنَمُوا الْمُسْلِمِينَ مِنْهُمْ غَنِيمَةً عَظِيمَةً لَا تُحْصَرُ، حَتَّى أُبِيعَ كُلُّ سَيْفٍ بِنِصْفَيْنِ فِضَّةً، وَكُلُّ فَرَسٍ بِعَشْرَةِ أَنْصَافٍ، وَكُلُّ دَرْعٍ بِثَمَانِيَةِ أَنْصَافٍ^(٢).

ثُمَّ لِنَهُمْ حَاشُوا^(٣) بَقِيَّةَ أَمْرَانِهِمْ عَلَى تَلٍّ عَالٍ هُنَاكَ، وَأَرْسَلُوا يَسْأَلُونَ السُّلْطَانَ فِي الْأَمَانِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ بَعْضُ الْأَمْرَاءِ فَقَبَضُوا عَلَيْهِمْ وَقَيَّدُوهُمْ وَمَسْجُوهُمْ^(٤).

وَأَمَّا مَلِكُهُمْ فَوُكِّلَ بِهِ خَادِمٌ يَضْرِبُهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ثَمَانِينَ سَوْطًا، ثُمَّ سَأَلَ أَنْ يَشْتَرِيَ نَفْسَهُ مِنَ السُّلْطَانِ بِمَالٍ عَظِيمٍ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ، فَاشْتَرَى نَفْسَهُ مِنْهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ^(٥).

ثُمَّ لَمَّا انْتَصَرَ السُّلْطَانُ عَلَيْهِمْ وَأَخَذَ دِمِيَاطَ وَفَارِسْكَورَ وَحَصَلَ مَا حَصَلَ، أَرْسَلَ الْأَمِيرَ شَهَابَ الدِّينِ بْنِ يَغْمُورَ إِلَى الْقَاهِرَةِ يَشِيرُ بِذَلِكَ، ثُمَّ الْبَسَهُ مَلْبُوسَ مَلِكِ الْفَرَنْجِ: مَخْمَلٌ أَحْمَرٌ بَفَرٍ سَنَجَابٍ، وَقَلَنْسُوءَةٌ ذَهَبٌ، فَزُيِّنَتْ لَهُ الْقَاهِرَةُ يَوْمَ دُخُولِهِ، وَقَدَّامَهُ الْفَرَنْجُ مَشَاءً مَسْلُسِينَ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أَخَذَ الْفَرَنْجُ دِمِيَاطَ، وَبَعْضُ ضِيَاعٍ، وَرَجَعُوا عَلَى مِصْرَ وَأَرَادُوا اخْتُذَاهَا، فَخَذَلَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَأَذَلَّهُمْ وَنَصَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ^(٦).

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ أَشَارُوا الْأَمْرَاءَ عَلَى السُّلْطَانِ بِهَدْمِ دِمِيَاطَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا الْهَدَامِينَ فَهَدَمُوهَا وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا سِوَى الْجَامِعِ الْكَبِيرِ، وَصَارَتْ أَخْصَاصًا يَسْكُنُهَا الصَّيَادُونَ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ، وَسَمَوْهَا الْمُنْشِيَّةَ^(٧).

وَاسْتَمَرَّتْ عَلَى هَذَا الْحَالِ إِلَى دَوْلَةِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ رُكْنِ الدِّينِ بَيْرَسَ الْبَنْدَقْدَارِي، فَأَمَرَ بِعِمَارَتِهَا وَأَرْسَلَ إِلَيْهَا الْبَنَائِينَ وَعَمَرُوهَا فِي سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَسِتْمِائَةٍ، وَعَمَرَ سُوْرَهَا

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨٠.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨١.

(٣) أبقيت الكلمة على ما هي عليه للدلالة على سمات الأسلوب في ذلك العصر.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨١.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨١.

(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨١.

(٧) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨١.

وهدم فم البحر الذى كانت تدخل منه مراكب الإفرنج، وأعاد السلسلة التى وضعها المقوقس عظيم القبط^(١).

قيل: لما انتصر تورانشاه ظن أن الوقت صفا له فتحول من المنصورة إلى فارسكور وبنى له برجًا خشبيًا على شاطئ البحر، وأحضر الأسارى من ملوك الإفرنج وغيرهم فضربت رقابهم بين يديه، وقذف بهم فى البحر^(٢).

وصار يقرب جماعته الذين حضروا معه من حصن كيفا ويعطيهم الوظائف والخلع السنية، وأبعد ممالك أبيه الملك الصالح^(٣).

وأرسل إلى شجر الدر يتوعدها بكل سوء، فأرسلت شجر الدر تقول للأمرء: اقتلوا تورانشاه وأنا أرضيكم بكل شيء تريدونه، فصبروا الممالك حتى جلس على رأس السماط والممالك الحرسية واقفين على رأس السماط وبأيديهم سيوفهم فهجموا عليه وضربوه بالسيوف وقطعوا أصابع يديه، فقام من المجلس وهرب ودخل إلى البرج الخشب الذى عمله وأغلق عليه الباب، فأطلقوا فى البرج النار وحرقوه، فخاف على نفسه من النار فألقى بنفسه فى البحر من أعلى البرج، وصار يسبح فى الماء ولم يغته أحد حتى مات غريقًا مضروبًا^(٤).

فلما مات طلعه وصار على شاطئ البحر ثلاثة أيام لم يُدفن، ثم دُفن بعد ذلك فى جوف البحر^(٥).

ونهبوا الممالك جميع ما كان فى وطاقه من قماش وسلاح وخيل وغير ذلك، واستمر السماط تاكل منه الكلاب ثلاثة أيام^(٦).

وكانت مدة ولايته أربعين يومًا، وقُتل فى فارسكور^(٧).

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨٢.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨٣.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨٣.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨٣، ٢٨٤.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨٤.

(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨٥.

(٧) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨٥.

وهو آخر من تولى السلطنة من بنى أيوب، وكانت مدة ولايتهم ستاً وثمانين سنة، وانقرضت دولتهم كأنها لم تكن بمصر^(١).

[سلطنة شجر الدر زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب]

ثم رجعوا الأمراء والعسكر إلى مصر، وطلعوا القلعة واتفقوا على تولية شجر الدر عوضاً عن توران شاه، فسلطوها وتحالفوا على ذلك، وأن يكون الأمير أيك التركمانى مدبر المملكة معها^(٢).

وهذه واقعة غريبة ما تسلطن بمصر غيرها^(٣).

ثم سمع الخبر الخليفة المستنصر بالله أبو جعفر، وهو ببغداد، أن أهل مصر قد سلطوا امرأة، فأرسل يقول لأهل مصر: ما بقى عندكم أحد من الرجال يصلح للسلطنة إلا هذه المرأة! فوجب علينا أن نرسل لكم من عندنا أحداً يتولى السلطنة، أما سمعتم فى الحديث الشريف قول رسول الله ﷺ أنه قال: «خاب قوم ولوا أمرهم امرأة»^(٤).

ثم إن شجر الدر لما سمعت هذا الخبر خلعت نفسها من السلطنة برضاها^(٥).

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨٥.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨٥.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨٥.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨٧.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨٧.

obeikandi.com

[ابتداء دولة الاتراك بمصر]

ثم إن القضاة والأمراء توافقوا على سلطنة الأمير أيك التركمانى وأن يتزوج بها، وتمت سلطنته وتزوج بها، وهو أول من تولى مصر من ملوك الترك^(١).

وهو الملك عز الدين. أيك التركمانى الصالحى النجمى، أصله من ممالك الملك الصالح، ثم بقى أتابك العسكر بعد قتل الملك المعظم تورانشاه، ثم بقى سلطاناً بعد خلع شجر الدر نفسها^(٢).

تولى يوم السبت تاسع عشرين ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وستمائة، وأقام فى المملكة مدة، ثم انقلبوا عليه بعض العسكر من الممالك الصالحية وقالوا: لا بد لنا من سلطان غير هذا يكون من ذرية بنى أيوب^(٣).

وكان شخصاً يسمى مظفر الدين يوسف بن مسعود، صاحب بلاد الشرق، من ذرية بنى أيوب، وكان عند عماته ببلاد الشرق، فأرسلوا خلفه وأحضره وسلطنوه ولقبوه بالملك الأشرف، وكان عمره عشرين سنة^(٤).

ولم يعزلوا أيك التركمانى وصار شريكاً معه فى السلطنة، وكان يخطب باسمهما^(٥).

ثم قويت شوكة أيك فكثرت عساكره ومماليكه، وأراد أن يقبض على فارس الدين أقطاي رأس الممالك الصالحية وقتله، فطلبه وقت الظهر وأوصى الممالك المعزية إذا طلع فارس الدين إلى القلعة يكمنون له عند باب قاعة الأعمدة ويقتلونه، فلما طلع ووصل إلى باب قاعة الأعمدة خرجوا الممالك المعزية وضربوه بالسيوف حتى قتلوه ثم قطعوا رأسه وأغلقوا باب القلعة^(٦).

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨٧.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨٨.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨٩.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨٩.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨٩.

(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٨٩.

واشتاع الخبر بقتل الأمير فارس الدين، فاجتمعوا الأمراء وهم يومئذ: الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى، والأمير قلاوون الألفى، والأمير سنقر الأشقر، والأمير بيسرى، والأمير سكز، والأمير برمق، والمماليك معهم ووقفوا تحت القلعة نحو سبعمئة شخص راكبين بسبب الأمير فارس الدين^(١).

فلما سمع بذلك أيك أمر برمى رأس فارس الدين إليهم من فوق سور القلعة، فلما رأوا رأس فارس الدين وقعت إليهم من فوق مقطوعة وتحققوا قتله ولوا هاربين يريدون الخروج من القاهرة إلى جهة البلاد الشامية، فوجدوا أبواب القاهرة مقفولة، فحرقوا باب القراطين وخرجوا منه، فمن ذلك اليوم سمي الباب المحروق^(٢).

ثم احتاط على موجودهم وأطلعه إلى القلعة، وخمدت الفتنة بعد هروب الأمراء الذين يخشى منهم^(٣).

ثم لما صفا له الوقت قبض على شريكه فى السلطنة مظفر الدين يوسف بن مسعود بن أيوب وسجنه بالقلعة وانفرد بالسلطنة وحده.

ثم إن زوجته شجر الدر صارت تمن عليه وتقول: لولا أنا ما وصلت إلى هذه المرتبة، ثم إنها ألزمت أن يطلق زوجته أم ولده فامتنع من ذلك، وخرج غضبان منها حتى جاء إلى مناظر اللوق أقام بها أياماً، فأرسلت له من يتلطف به ويدخله عليها، فلما زال غيظه ركب مع الرسول ونزل بالقلعة فى قصر شجر الدر، فلما دخل إليها قامت له مسرعة وقبّلت أقدامه وأزالت ما عنده^(٤).

ثم إن شجر الدر أضمرت الحقد لأنها كانت تركية الجنس، سيئة الخلق، شديدة الغيرة، قوية البأس، ذات شهامة رائدة، وحرمة وافرة، معجبة بنفسها^(٥).

وكان هو يميل إلى أم ولده على أكثر بالمحبة فبسبب ذلك أضمرت أن تقتله، ثم

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٩١.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٩١، ٢٩٢.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٩٢.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٩٣.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٩٣.

تواطأت مع خمسة طواشية بيض روم على قتله، ثم إنها أدخلته الحمام ودخلت معه، والطواشية وبأيديهم السيوف فقام إليها وقبّل يديها، وقال لها: أعفيني من القتل وأنا أطلق أمّ على، فقامت شجر الدر إلى الخدامين ودفعتهم عنه، فقالوا لها: إن أبقيته قتلك وقتلنا ولم يبق منا أحدًا، ثم قتلوه خنقًا وأشاعوا موته، وقالوا: إنه أغمى عليه في الحمام ثم أخرجوه من الحمام وغسلوه وصلّوا عليه ودفنوه بالقرافة بين أقاربه^(١).

ثم شاع الخبر بخنقه وتحققوا أن قتله من شجر الدر، فركب ولده على ومعه المماليك المعزية وطلعوا معه إلى القلعة وقبض على شجر الدر وسلمها إلى أمه، فأمرت جواربها أن يقتلوا بالقباقيب والنعال، فضربوها بذلك إلى أن ماتت وفارقت الدنيا، ثم سحبوها من رجليها وأرموا بها من فوق السور فوقعت في الخندق عريانة ليس في وسطها غير اللباس فقط، فمكثت ثلاثة أيام لم تُدفن^(٢).

ثم إن رجلا نزل عليها ليلاً وحل تكة لباسها وكانت حريراً وفيها ثلاث أكر لؤلؤ وياقوت ونافجة مسك^(٣).

ثم بعد ذلك حُملت ودُفنت في تربتها بجوار بيت الخليفة قريباً من مقام السيدة نفيسة^(٤).

وكانت من جوارى الملك الصالح نجم الدين أيوب، ولدت منه خليلاً، ثم أعتقها وتزوج بها، وأقامت معه مدة طويلة بالشام^(٥).

ثم جاءت معه إلى مصر، ثم تسلطن أستاذها الملك الصالح فعظمت عنده، ثم صارت تدبر أمور مملكة الديار المصرية إذا كان غائباً في الغزوات وينفذ حكمها، ومراسيمها مسموعة وعلامتها كانت: والدّة خليل^(٦).

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٩٣، ٢٩٤.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٩٤.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٩٤.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٩٥.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٩٥.

(٦) الوافي بالوفيات ج ١٦ ص ١٢٠ بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٩٥.

وكانت لها صدقات وخيرات وأوقاف على جهات الخير والقربات^(١).

وكان قتلها فى يوم الثلاثاء خامس عشرين ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وستمائة^(٢).

وكان الملك أيبك أول ملوك الترك، وبعده ابنه فى السلطنة سبع سنين، ومدة ولاية الأشرف يوسف شريكه سنة وثلاثة أشهر^(٣).

[سلطنة الملك المنصور نور الدين على

ابن الملك المعز أيبك التركمانى]

ثم تولى من بعده الملك المنصور نور الدين على بن أيبك التركمانى الصالحى، وهو الثانى من ملوك الترك، سادس عشرين ربيع الاول سنة خمس وخمسين وستمائة، وعمره إحدى عشرة سنة^(٤).

وكان وزيره شرف الدين صاعد الفائزى، كان وزيراً لأبيه المعز أيضاً، وكان اسمه هبة الله، وأصله من أبناء القبط ثم أسلم فى دولة الملك الكامل محمد، ولا زال يرتقى حتى صار وزيراً بالديار المصرية.

ذكر أسماء ملوك الترك والچراكسة:

أولهم أيبك، وقطرز، وبيبرس، وقلاوون، وكتبغا، ولاجين، وبرقوق، وبرسباى، وططر، وجقمق، وأينال، وخوشقدم، وبلباى، وتمربغا، وقايتباى، وقانصوه، وجان بلاط، وطومان باى، وقانصوه الغورى.

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٩٥.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٩٥.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٩٥.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٩٦ ولديه: «إحدى وعشرين سنة» وفى الخط ج ٢ ص ٢٣٨ «وعمره خمس عشرة سنة».

[سلطنة الملك المظفر سيف الدين قطز المعزى]

ثم إن الملك المنصور على ولى الأمير سيف الدين قطز المعزى نائب السلطنة بمصر وأتابك العساكر، وكان قطز شديد البأس صعب الخلق، فقبض على شرف الدين هبة الله الوزير وأخذ جميع أمواله ثم صلبه على باب القلعة^(١).

وأخلع على القاضى زين الدين يعقوب بن الزبير وجعله وزيراً مكانه^(٢).

ثم جاءت الأخبار إلى الملك المنصور على بأن شخصاً يسمى هولاكو، ملك التار، وصل إلى أطراف دمشق بعد أن أخرب بغداد وحلب وقتل أمماً وخلائق لا تُعدُّ ولا تُحصى، وقتل الخليفة المستعصم بالله ببغداد^(٣).

وقد حضر من عنده أمير من أمرائه وبيده كتاب مكتوب فيه: من ملك الملوك شرقاً وغرباً، الخاقان الأعظم، هولاكو، ووصف نفسه بالقباب عظمة، وسطوة شديدة، وكثرة عساكر، وفى كتابه يقول: يا أهل مصر لا تقاتلونى، فإنه ليس لكم قدرة على ملاقاتى، وصونوا دماءكم، ولا تكونوا مثل أهل بغداد وأهل حلب وغيرهم^(٤).

فلما سمع الملك المظفر قطز هذه الألفاظ المهولة عسر عليه ذلك وجمع الأمراء والعساكر والعربان وخلائق لا تُعدُّ ولا تُحصى، ثم جمع الأموال عن كل رأس ديناراً وأخذ من الأموال أجرة شهر، ومن الغيطان كذلك، فكان من جملة ما جمعه من الأموال ستمائة ألف دينار^(٥).

ثم أصرف على العساكر والعربان الجوامك وأبرز وطاقه^(٦) إلى خارج الريدانية، وأقام

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٠١.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٠١.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٠١.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٠٤، ٣٠٥.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٠٥.

(٦) الوطاق: الخيمة الكبيرة التى تعد للعظماء.

هناك حتى اجتمعت العساكر ثم نادى بالرحيل، فرحل في آخر شعبان سنة ثمان وخمسين ومستمائة، وجدَّ في السير إلى أن وصل إلى عين جالوت من أرض كنعان، فالتقيا ووقع القتال واقتلوا قتالاً عظيماً، وقُتل بينهم خلق عظيم لا يُحصى لهم عدد^(١).

ثم إن هولاء ركن إلى الفرار وولى الأدبار، فانكسر ومن معه وهربوا، ثم إن المسلمين رجعوا بعد أن أفنوا من عسكر هولاء أكثر من النصف، وما نجا منهم إلا الشريد، واغتنم المسلمون منهم غنائم لا يكاد يوجد مثلها في الإسلام وانكسر هولاء ومن معه من التار وهربوا^(٢).

ثم رجعوا واقتلوا حتى قُتل منهم النصف، ورجعوا هارين وغنم المسلمون غنائم عظيمة لا تحصر^(٣).

ورجع السلطان قطز منصوراً مؤيداً إلى أن وصل إلى الشام، وجلس على الكرسي وحكم وعزل وولى، ورحل من الشام إلى أن وصل إلى الصالحية فجلس فيها، ثم أضمر العسكر على قتله، وكان المشار إليه في ذلك الوقت الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى، فركب السلطان قطز وخرج يسير في الفلاة فرأى أرنبا، فساق خلفه، ثم ركبوا الأمراء وساقوا خلفه، فلما وصلوا إليه تقدم إليه الأمير ومدَّ يده فظن السلطان أنه يريد أن يقبل يده لكون أنه قد أعطاه جارية عظيمة من جوارى التار، فمد السلطان يده لبيبرس فقبض عليه بيبرس وضرب عنقه بسيف كان معه^(٤).

فساق بيبرس ومن معه من الأمراء بأسلحتهم حتى طلَعوا إلى القلعة، وجلس بيبرس على كرسي الملك سلطاناً وبأسوا الأمراء له الأرض وأعطوه الطاعة^(٥).

ثم إن بعض الأمراء شق عليهم قتل السلطان بغير ذنب، وكان خيار ملوك الترك، وله

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٠٦.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٠٦.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٠٦.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٠٧.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٠٧.

اليد العليا عليهم، فكانت قتلته يوم الحادى عشر من شهر ذى القعدة الحرام، سنة ثمان وخمسين وستمائة، ثم حُمل ودُفن قريباً من زاوية الشيخ خلف^(١). وكانت مدة أيام ولايته سنة إلا أياماً^(٢).

[سلطنة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس]

وتسلطن بعده الظاهر بيبرس أبو الفتوحات.

وهو الرابع من ملوك الترك^(٣).

أصله تركى، اشتراه الملك الصالح نجم الدين أيوب وأعتقه، وكان شجاعاً بطلاً، لا زالت الأقدار تساعد حتى وصل إلى ما وصل إليه^(٤).

ثم إنه لما صار سلطاناً أخلع على الأمراء، وولى من ولى وعزل من عزل^(٥).

ثم جعل صاحب بهاء الدين وزيراً، وهو الذى بنى رباط الآثار النبوى المطل على بحر النيل، واشترى الآثار الشريفة بجملة من المال، وأودعها فى ذلك المكان الذى أنشأه، وصارت الناس يأتون إليه فى كل يوم أربعاء للزيارة^(٦).

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٠٧.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٠٨.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٠٨.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٠٩.

(٥) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٣٠٩.

(٦) ليس بهاء الدين بن حنا باني الآثار، فلدى المقرئى فى الخط ج ٢ ص ٤٢٩ «رباط الآثار: هذا الرباط خارج مصر بالقرب من بركة الحبش مطل على النيل ومجاور للبستان المعروف بالمعشوق قال ابن المتوج: هذا الرباط عمره الصاحب تاج الدين محمد بن محمد بن الصاحب فخر الدين ولد الصاحب بهاء الدين على بن حنا بجوار بستان المعشوق، ومات رحمه الله قبل تكملته، ووصى أن يكمل من ريع بستان المعشوق، فإذا كملت عمارته يوقف عليه، ووصى الفقيه عز الدين بن مسكين فعمّر فيه شيئاً يسيراً، وأدركه الموت إلى رحمة الله تعالى، وشرح الصاحب ناصر الدين محمد ولد الصاحب تاج الدين فى تكملته فعمّر فيه شيئاً جيداً.

وإنما قيل له رباط الآثار، لأن فيه قطعة خشب وحديد يقال إن ذلك من آثار رسول الله ﷺ اشتراها الصاحب تاج الدين المذكور بمبلغ ستين ألف درهم فضة... وحملها إلى هذا الرباط وهى به إلى اليوم يتبرك الناس بها ويعتقدون النفع بها.

ثم تولى مملوكه بيليك الخازندار ولقبه بالأمير بدر الدين، وفوض إليه سائر أمور السلطنة بمصر^(١).

وذكر الشيخ صلاح الدين الصفدى فى «تذكرته» أن الأمير بدر الدين بيليك الخازندار، اشتراه الملك الظاهر بيمرس صغيراً ورباه، وكان الملك الظاهر أمير عشرة، واستمر فى خدمته حتى صار سلطاناً، قيل: إن التاجر الذى باع الأمير بيليك للملك الظاهر كان فى ثروة عظيمة ثم افتقر حتى صار يتعاطى الصدقة^(٢).

ثم لما حضر إلى مصر سمع أخبار مملوكه الذى باعه للملك الظاهر قديماً ربما وصل إليه من الرتبة العلية، كتب له قصته وقدمها إليه وعرفه بنفسه وما صار إليه من الفقر، فلما قرأها ببليك وعرفه قام إليه واعتنقه وأجلسه بجانبه، وأخلع عليه خلعة سنية، ودفع له عشرة آلاف دينار وفرساً وعبداً وجارية، وأكرمه إكراماً عظيماً^(٣).

ثم إن بعض المماليك كانوا متخوفين هاربين فى البلاد، فكتب إليهم مراسيم بالآمان، وحضروا بين يديه، وأحسن إليهم.

وأبطل سائر ما تجدد من المظالم بمصر، وكتب بذلك مراسيم وقرئت على المنابر فى المساجد، واستجلب خواطر الرعية بالمعونة والستهم بالثناء والدعاء^(٤).

ثم دخلت:

سنة ستين وستمائة

ففيها فى تاسع صفر جاء شخص من العربان يسمى عيسى بن مهنا معه جماعة من العربان، ومعهم شخص من ذرية بنى العباس يسمى الإمام أحمد ابن أمير المؤمنين الظاهر بأمر الله، وهو عم الخليفة المستعصم بالله، وأخو الخليفة المستنصر بالله، وكان معتقلاً ببغداد عند جماعة من عربان العراق، ثم حضر إلى مصر مع جماعة من العربان.

فلما بلغ الملك الظاهر وصوله إلى العكرشا خرج إلى تلقيه... ثم إن الملك الظاهر

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣١٠.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣١١.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣١١.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣١١.

قصد أن يثبت نسب الإمام أحمد فأمر بعقد مجلس... فلما قامت البيعة بذلك ثبت على قاضى القضاة تاج الدين بن بنت الأعز، وسجله على نفسه وحكم بصحته^(١).

ثم إنه بايع الملك الظاهر بيبرس أبا الفتوحات بالسلطنة وبايع سائر الأمراء على قدر طبقاتهم^(٢).

فلما كان يوم الجمعة أمر الملك الظاهر بيبرس الإمام أحمد الخليفة بأن يخطب ويصلى بالناس صلاة الجمعة، واجتمعوا سائر القضاة والعلماء والأمراء والعساكر فى جامع القلعة، فخطب الإمام أحمد خطبة عظيمة أثنى فيها على فضل الملك الظاهر بيبرس الذى رد الخلافة لبنى العباس، بعد أن كانت قد انقطعت منهم، وبطل ذكرهم كما بطل ذكر الخلفاء الأموية، وغيرهم.

وقد ورد فى الأخبار أن الخلافة لا تزال فى بنى العباس حتى يأتى عيسى بن مريم ثم تنقطع بعد ذلك^(٣).

[ثم دخلت:

سنة إحدى وستين وثمانمائة

ففيها جاءت الأخبار بوصول شخص آخر من بنى العباس، يقال له: الإمام أحمد أيضاً، غير السابق الذى قُتل، وكان مستخفياً عند جماعة من العرب فى بعض أعمال بغداد، فسبقه الإمام أحمد المقدم ذكره، وكان الإمام أحمد الذى قدم أولاً من أولاد الخليفة الظاهر بأمر الله، وهذا من أولاد الخليفة المسترشد بالله ابن المستظهر ابن المقتدى بن محمد الذخيرة، فلما وصل إلى المطرية خرج السلطان والأمراء إلى تلقيه، فطلع مع السلطان إلى القلعة، وأنزله بالبرج الكبير الذى بالقلعة... فأقام أياماً، ثم عقد السلطان مجلساً ثانياً، وأثبت نسبه كما فعل بالإمام أحمد الأول، فلما ثبت نسبه، ولوه الخلافة، ولقبوه بالحاكم بأمر الله، ثم

(١) فى النص اضطراب وتقديم وتأخير وتصحيف، وقد اعتمدنا فى ترتيبه وتصويبه على ما جاء بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣١٢.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣١٤.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣١٢، ٣١٣.

رسم له السلطان أن يسكن في مناظر الكبش، وكانت مطلة على بحر النيل، ورتب له ما يكفيه في كل شهر، ورسم السلطان للخليفة أن يطلع إلى القلعة عند مستهل كل شهر، ويهني السلطان بالشهر، والإمام أحمد هذا هو أول خلفاء بني العباس بمصر، وإليه تنسب الخلفاء إلى يومنا هذا، فهو جدّهم على الإطلاق، وهذا سبب نقل الخلافة من بغداد إلى مصر على يد الملك الظاهر بيبرس البندقداري^(١).

ثم إنه قبل ذلك كان قاض شافعي يولى النواب يحكمون على قاعدة المذاهب الثلاثة فأبطل ذلك الملك الظاهر، وولى أربعة قضاة كبار، لكل مذهب قاض يتولى من تحت يده نواب يحكمون، وذلك في أواخر سنة اثنتين وستين وستمائة^(٢).

وفي أول سنة إحدى وستين وستمائة رتب لعب القبق، ووقع في تلك السنة غلاء عظيم حتى عُدّت فيها الأقوات، وضجت الفقراء، فأمر السلطان أن يجمعهم، فجمعوا فكانوا ألفي فقير، ففرقهم على نفسه وعلى الأمراء، وعلى ولده الملك السعيد محمد، وعلى الأمير بيليك الخازندار، وجعل على كل واحد جماعة من الفقراء، لكل فقير رطلين من الخبز ونصف رطل من اللحم، ومنعهم من سؤال الناس أصلاً^(٣).

ثم إن السلطان أقام وليمة عرس لختان ابنه المذكور، وأمر سائر الأمراء والجند وبقية الرعية أن كل من كان له ولد بلا ختان يطلع به إلى القلعة يخته مع ابن السلطان، فكان عدتهم ألف وستمائة وخمسة وأربعين غلاماً، خارجاً عن أولاد الأمراء والأعيان، ورسم لكل واحد منهم بكسوة على قدر طبقاتهم ومقام آبائهم.

وأما أولاد الحرافيش فرسم لكل واحد منهم بكسوة ومائة درهم ورأس غنم، واستمر المهم سبعة أيام في القلعة^(٤).

ثم لما دخلت سنة ثلاث وستين وستمائة كثر الحريق بمصر وأشيع الخبر أن ذلك من فعل النصاري فأمر السلطان بحرق جميع النصاري.

(١) ما بين الحاصرتين فيه اضطراب وسقط وتحريف في الأصل، وقد اعتمدنا في ترتيبه وتكلمته وتصويبه على ما جاء بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٢٠، ٣٢١.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٢١.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣١٩.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٢٢.

فلما تحققوا بأنهم محروقون بلا ريب سألوا أن يدفعوا خمسين ألف دينار تُصرف على ما فسد من الدور التي أُحرقت، وذلك على يد فارس أقطاي الأتابكي المستعرب، فشفع أقطاي فيهم عند السلطان فعفا عنهم من الحرق ووزنوا المال وصُرف على إصلاح ما فسد^(١).

ثم سافر السلطان إلى مدينة سيس فحاصروها وسلموها له بالأمان^(٢).

وفتح عدة قلاع كانت مع الأرمن، ثم لما رجع السلطان إلى مصر منصوراً في سنة خمس وستين وستمئة أبطل بيوت الحشيش وأحرقها، وبيوت المسكرات، وكسر أوانيها، ومنع الحانات من الخواطي^(٣).

ثم في سنة ست وستين وستمئة توجه السلطان إلى نحو الشام، وحاصر مدينة يافا والثقيف ففتحهما، ثم توجه إلى أنطاكية ففتحها يوم الجمعة ثالث شهر رمضان من السنة المذكورة، ثم توجه إلى بغراس ففتحها، ورجع إلى مصر مؤيداً منصوراً، وزينت له القاهرة^(٤).

ثم دخلت:

سنة سبع وستين وستمئة

فحج فيها الملك الظاهر بيبرس هو وولده، وكانت الوقفة الجمعة^(٥).

ثم رجع إلى الشام ورجع ابنه الملك السعيد مع الركب المصري^(٦).

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٢٤.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٢٥.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٢٦.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣٠.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣٠.

(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣١.

ثم دخلت:

سنة ثمان وستين وستمائة

فيها رجع السلطان إلى القاهرة وأقام بها إلى شعبان ثم توجه إلى زيارة بيت المقدس والخليل، عليه السلام، فزارهما ورجع إلى مصر^(١).

ثم دخلت:

سنة تسع وستين وستمائة

فيها أرسل صاحب طرابلس مقدمة عظيمة للسلطان فقبلها فأقره على ما بيده من البلاد^(٢).

ثم إن السلطان رتب خيل البريد في الطرقات الشامية بسبب إسراع مجيء أخبار البلاد الشامية للسلطان، فكان يجيء الخبر في الجمعة مرتين^(٣).

وكان للخليل سواقين في الطرقات بجوامك، ولا يقدر أحد يركبها إلا برسم السلطان، وفي كل مركز راد وعليق للمسافرين^(٤).

وكان الملك الظاهر يعمل موكبين: موكبًا بمصر وموكبًا بالشام، ويومًا بالفرات ويومًا بحلب^(٥).

واستمر مدة طويلة على ذلك، إلى دولة الملك الناصر فرج بن برقوق فبطل ذلك عند قدوم تمرلنك لما خرب البلاد الشامية، وذلك سنة ثلاث وثمانمائة^(٦).

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣١.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣١.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣١.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣٢.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣٢.

(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣٢.

ثم دخلت:

سنة سبعين وستمائة

فيها جاءت الأخبار بأن التار تحركوا على البلاد ووصلوا إلى الفرات وملكوا البصرة، فخرج إليهم السلطان ومعه الأمير وكان جاليش^(١) العسكر الأمير قلاوون الألفى والأمير يسرى، فتلاقوا مع التار على الفرات، ووقعت بينهم مقتلة عظيمة، وقتل منهم خلق لا يعلم عددهم إلا الله تعالى. وأسر منهم خلق كثير^(٢).

فلما دخل السلطان إلى البصرة أخلع على نائبها وفرق على أهلها مالا عظيماً حتى أغناهم، ورجع إلى مصر بعد أن غنم مغتماً جزيلاً، وزيّنت له مصر، وحمل على رأسه القبة والطير^(٣).

ثم دخلت:

سنة إحدى وسبعين وستمائة

فيها هجم الوباء على مصر، فنى منها خلق كثير، فأقام ستة أشهر^(٤).

ثم دخلت:

سنة اثنتين وسبعين وستمائة

فيها توفي الشيخ عبد العظيم الجزار، وكان من فحول الشعراء^(٥). وعاصر الشيخ أثير الدين أبا حيان المغربي، والشيخ قطب الدين القسطلاني، وغيرهم من العلماء.

(١) الجاليش: راية عظيمة في رأسها خصلة من الشعر تحمل في مواكب السلطان، لا سيما المواكب الخاصة بالحرب. وكان المماليك يطلقون اللفظ أيضاً على الطليعة من الجيش.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣٢.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣٢.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣٣.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣٣.

ثم دخلت:

سنة ثلاث وسبعين وستمائة

فيها روجَّ السلطان ابنه بينت الأمير سيف الدين قلاوون الألفى، وكان مهما عظيماً أقام سبعة أيام بالقلعة، وكان السلطان يظن أنه إذا أروج ابنه بينت الأمير قلاوون يكون له عوناً عند تقلبات الزمان، فأخذ من الجانب الذى اعتمد عليه^(١).

ثم دخلت:

سنة أربع وسبعين وستمائة

فيها جرد السلطان إلى بلاد النوبة تجريدة عظيمة، أرسل فيها الأمير سنقر الفارقانى أستاذار العالية، وعز الذين أليك الأفرم، وجماعة من الأمراء^(٢).

فلما وصلوا إلى النوبة تقاتلوا معهم قتالاً عظيماً على أسوان، وقتل من عسكر ملك النوبة خلق كثير لا يُعدُّ ولا يُحصى، وغنموا منهم غنائم عظيمة، ورجعوا منصورين، وكان لهم يوم مشهود عند دخولهم مصر^(٣).

ثم دخلت:

سنة خمس وسبعين وستمائة

فيها توفى سيدى أحمد البدوى، أبو الفتیان، كان يحفظ القرآن ويشغل بالعلم، ثم حصل له جذب بعد ذلك^(٤).

ثم دخلت:

سنة ست وسبعين وستمائة

فيها دخل السلطان إلى حلب، أقام بها أياماً ثم توعك جسده وأخذته الحمى، وتسلسل له المرض، فمارال به الوجع يزيد حتى أسقوه حكماء حلب دواء مسهلاً فأفرط فى الإسهال

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣٥.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣٥.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣٥.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣٥.

فزاد به المرض، فرحل من حلب إلى الشام، فمات في بعض ضياع دمشق، فكتبوا موته عن العسكر وحُمِلَ إلى أن دخل دمشق فدفن فيها ليلاً، ولم يشعر أحد من الناس، وكان موته يوم الخميس ثامن عشرين شهر الله المحرم الحرام سنة ست وسبعين ومستمائة، وكان عمره إذ ذاك ستين سنة^(١).

وكان رجلاً يجب الخير ويكثر من القربات في سبيل الله، وكان مهما حصل له من الغنائم يفرقه على العسكر، كريماً سخياً مهاباً، يسمى أبو الفتوحات لكثرة ما فتح الله على يديه من بلاد الكفار، وكان حسن الشكل، طويل القامة، مستدير اللحية، انغالب فيها البياض، وكان متقاداً للشرعة، يحب العلماء والصلحاء، ويحب فعل الخيرات والمعروف، وكان من خيار الترك بمصر^(٢).

ثم إن الأمراء وسائر العسكر لم يشهر موته حتى وصلوا مصر فأشهروا موته، وكانت مدة سلطته بمصر والشام سبع عشرة سنة وشهرين ونصف^(٣).

وخلف من الأولاد عشرة: ثلاثة ذكور، وهم: الملك السعيد محمد، والملك العادل سلامش، وسيدى خضر الذى لم يتسلطن، وسبع بنات^(٤).

وأما البلاد التى فُتحت في أيامه فقيسارية، وأرسُوف، وصقّد، وطبرية، ويافا، والشقيف، وأنطاكية، وبغراس، والقُصير، وحصن الكراد، والقُرَيْن، وحصن عكا، وصافيا، ومَرْقِيَّة، وحلباء، وبنائاس، وطرسوس، وكل هذه البلاد كانت مع الفرنج^(٥).

وفتح في بلاد الشرق مدينة سيس، أخذها بالأمان، ودركُوش، وتلميش، ورعبان، ومرزبان، وكنوك، وأدنة، والمصيصة^(٦).

وأما الذى صار إليه من بلاد المسلمين فدمشق، وبعلبك، وقلعة الصبيية، وقلعة شيزر، وعجلون، وبُصْرَى، وصَرْخَد، والصَلْت، وحمص، وتَدْمُر، والرَّحْبَة، وتل

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣٨.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٤١.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣٨.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣٩.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣٩.

(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣٩.

باشر، والخَوَابِي، وصِهْيُون، وقلعة الكهف، والقَدَمُوس، والكَرْك، والشُّوبَك، وبيت المقدس، ومدينة الخليل، عليه السلام^(١).

وأما ما افتتحه من بلاد السودان وهى: النوبة وأعمالها، وقلعة العميدين، من أعمال برقة، وعدة جزائر من أعمال الجنادل^(٢).

وأما ما أنشأه من العمائر فإنه جدد عمارة الحرم النبوى، وجدد عمارة قبة الصخرة بيت المقدس، وزاد فى أوقاف الخليل^(٣).

وأما ما أنشأه بالديار المصرية، فمن ذلك قناطر شبرامنت بالجيزة، وعمرَّ سور مدينة الإسكندرية، وجدد بناء المنار الذى بها، وعمرَّ المنار الذى بثغر رشيد، وردم فم بحر دمياط بالقراييص حتى لا تدخل منه مراكب النصارى^(٤).

وعمرَّ الشوانى وأعادها كما كانت عليه، وحفر بحر أشموم طناح، وعمرَّ القلاع التى ببلاد الشرق، التى كان أخربها هولاءكو ملك التتار^(٥).

وعمرَّ مدرسة بدمشق، والمدرسة التى بين القصرين بجوار الصالحية، والجامع الكبير الذى بالحسينية، عمره من وجه حل من مال الغنائم^(٦).

وجدد عمارة الجامع الأزهر بعد أن خرب وانقطعت منه الخطبة مدة طويلة، فأعادها كما كانت، وعمرَّ القصر الأبلق بدمشق، وعمرَّ خاناً بالقدس الشريف، وحفر خليج الإسكندرية بنفسه، وأنشأ ضيعة على فم وادى العباسية، وسماها بالظاهرية^(٧).

وأخباره شهيرة كثيرة فى عدة من التواريخ.

ومن عمارته قناطر أبى المنجأ، وقناطر السباع، والبرج الكبير الذى بالقلعة بمصر بخرائب التتار.

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٣٩.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٤٠.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٤٠.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٤٠.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٤٠.

(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٤٠.

(٧) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٤٠.

سلطنة الملك السعيد أبي المعالي

محمد ابن الملك الظاهر بيبرس

ثم تسلطن ولده الملك السعيد أبو المعالي، محمد بركة خان، ابن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى الصالحى النجمى.

وهو الخامس من ملوك الترك بالديار المصرية.

بويع بالسلطنة بعد موت أبيه، وجعل وزيره الأمير بدر الدين يليلك الخازندار، نائب السلطنة وحلفوا له الأمراء أنهم لا يخونوه أصلاً، ومشى على مشى والده، واستمر على ذلك مدة يسيرة^(١).

ثم إن الأمير يليلك مرض فى أثناء ذلك، وسلسل فى المرض حتى مات^(٢).

فلما مات استقل الملك السعيد برأيه وتدييره، فطاش عقله وقبض على بعض الأمراء فسجنهم، ثم ولى الأمير آق منقر الفارقانى، نائب السلطنة عوضاً عن الأمير المتوفى، ثم أقام مدة يسيرة وقبض عليه وسُجن بثغر الإسكندرية، ثم أرسل إليه فخنقه فى السجن ودفن هناك^(٣).

ثم دخلت:

سنة سبع وسبعين وستمائة

وفىها جاءت الاخبار من الشام إلى مصر بأن نائب الشام خرج عن الطاعة، فجرد إليه الملك السعيد وتوجه إلى الشام، فترل فى القصر الأبلق الذى أنشأه والده الملك الظاهر^(٤).

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٤٢.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٤٣.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٤٣.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٤٤.

ثم ان الأمراء خامروا عليه بعد أن سمعوا عنه أنه يريد أن يقبض على جماعة منهم، فخرجوا متوجهين إلى مصر، فخرج السلطان في طلبهم، فلم يزالوا حتى وصلوا إلى مصر، وطلع الملك السعيد إلى قلعة الجبل واجتمع الأمراء مع بعضهم، وصاروا كلمة واحدة وأقاموا تحت القلعة يحاصرونه حتى جاءهم الخليفة يصلح فيما بينهم، فامتنعوا من الصلح وقالوا: لا نصالح إلا أن يخلع نفسه من السلطنة، ثم يتوجه في يومه إلى الكرك يقيم بها، فعند ذلك أرسل الملك السعيد إلى القضاة والشهود وأشهد على نفسه أنه خلع نفسه، ثم إنه تجهز ورحل إلى الكرك^(١).

ثم دخلت:

سنة ثمان وسبعين وستمائة

وفيها جاءت الأخبار من الكرك إلى مصر بأن الملك السعيد توفي إلى رحمة الله تعالى، وسبب موته أنه ركب يومًا من الأيام يلعب بالأكرة في ميدان الكرك، فتقطر من فوق الفرس فوقه ثم مات، وحُمل إلى دمشق ودُفن عند أبيه الملك الظاهر^(٢).

وكان صغيرًا في السن حسن المنظر كريمًا، مطلق اليد لمن يعرفه ومن لا يعرفه^(٣).

[سلطنة الملك العادل سيف الدين سلامش]

ثم تولى من بعده أخوه الملك العادل سيف الدين سلامش ابن الظاهر بيبرس البندقداري^(٤).

وهو السادس من ملوك الترك، كان يسمى ابن البدوية، تسلطن وعمره سبع سنين^(٥).

وولى قلاوون الألفى أتابك على العساكر، فكان يخطب باسمهما على المنابر، وكان

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٤٤ - ٣٤٥.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٤٦.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٤٦.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٤٦.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٤٦.

الحكم كله للألفى ليس للولد كلام مع قلاوون الألفى، وإنما الأمر والتهى كله لقلاوون^(١).

ثم أقام مدة يسيرة، ثم خلع الملك العادل سلامش من السلطنة وأرسله إلى قلعة الكرك، وأرسل معه أخوه سيدي خضر فأقاما مدة^(٢).

ثم إن الملك الأشرف خليل بن قلاوون لما تولى أرسلهما إلى القسطنطينية، فكانت مدة الملك العادل سلامش بالديار المصرية خمسة أشهر^(٣).

[سلطنة الملك المنصور سيف الدين أبي المعالي قلاوون الألفى]

ولما خلع سلامش من السلطنة حصل عند الناس غم شديد.

ثم تولى من بعد قلاوون ولقب بالملك المنصور سيف الدين أبي المعالي قلاوون الألفى الصالحى النجمي^(٤).

وهو السابع من ملوك الترك، وتسلطن بعد خلع الملك العادل سلامش وجلس مدة^(٥).

ثم دخلت:

سنة إحدى وثمانين وستمائة

فيها تزوج السلطان الملك المنصور قلاوون بخوند أشلون بنت الأمير نكاي، وكان لهم مهم عظيم^(٦).

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٤٦.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٤٧.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٤٧.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٤٧.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٤٧.

(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٥١.

ثم توفي في السنة المذكورة مجير الدين محمد بن غنيم الدمشقي الشاعر العالم،
وتوفي أيضاً الشيخ بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي الشاعر العالم^(١).

ثم دخلت:

سنة اثنتين وثمانين وستمائة

فيها ابتدأ الملك المنصور قلاوون بعمارة القبة التي بين القصرين والمدرسة وأضاف
إلى ذلك قاعة القبطيين وسماه البيمارستان المنصوري، وانتهت العمارة في عشرة أشهر^(٢).

وجعل له في كل يوم راتباً ألف دينار، وأوقف عليه ضياعاً وأملاكاً وبساتين، وشرط
في وقفه أشياء كثيرة من أنواع الخير والبر والقربات ما لا فعله أحد من الملوك السابقة لا
قبله ولا بعده^(٣).

وسبب بناء هذا البيمارستان أن الملك المنصور أمر مماليكه أن يضعوا السيف في
العوام لأمر أغضبه، فقتلوا ثلاثة أيام وفنى منهم خلق لا يعلم عدتهم إلا الله تعالى، وقتل
الصالح مع الطالح، ثم طلوعوا القضاة والعلماء والصلحاء إلى السلطان وشفعوا فيهم، فرفع
عنهم السيف وعفا عنهم^(٤).

ثم بعد مدة فعل السلطان هذه الخيرات ليكفر الله عنه بذلك، إن شاء الله تعالى ﴿إِنَّ
الْحَسَنَاتِ يَدْهِنُ السَّيِّئَاتِ﴾^(٥).

ثم دخلت:

سنة ثلاث وثمانين وستمائة

فخرج فيها السلطان إلى الشام، وأخذ حصن المرقب بالأمان بعد أن حاصر أهله ثمانية
وثلاثين يوماً^(٦).

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٥٢.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٥٣.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٥٣.

(٤) ابن إياس ج ١ ق ١ ص ٣٥٤.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٥٤.

(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٥٤.

ثم دخلت:

سنة أربع وثمانين وستمائة

فيها أرسل السلطان الأمير طرنتاي نائب السلطنة إلى حصار سنقر الأشقر نائب الشام، الذي كان عصي وخالف وتسلطن هناك، فلما وصل إليه الأمير طرنتاي حاصره أشد المحاصرة، ثم طلب الأمان فأعطاه الأمان وحلف له وأحضره إلى مصر، وخرج له السلطان ولاقاه بالمطرية وطلع إلى القلعة وأكرمه غاية الإكرام، وكان يوماً مشهوداً^(١).

ثم دخلت:

سنة خمس وثمانين وستمائة

فيها عزل السلطان وزيره علم الدين سنجر الشجاعى وأخذ جميع أمواله، وعاقبه عقوبة عظيمة، وولى مملوكه الأمير بدر الدين بيدرا وزيراً غيره^(٢).

ثم إن السلطان سلطن ولده نور الدين علياً ولقبه بالملك الصالح ليكون عوضه بمصر إذا سافر، فإنه كان كثير الأسفار^(٣).

ثم إن الملك الصالح علياً مرض مرضاً شديداً بحمى الكبد^(٤).

ثم توفي ليلة الجمعة رابع شعبان سنة سبع وثمانين وستمائة، فحزن عليه والده حزناً شديداً، ثم غسلوه وكفنوه وصلّوا عليه ودُفن عند والدته خوند خاتون التى بجوار المدرسة الاشرفية، التى بطريق السيدة نفيسة، وكان يوماً مشهوداً^(٥).

وخلف ولدك ذكرى يسمى الأمير موسى^(٦).

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٥٥.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٥٦.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٥٧.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٥٧.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٥٨.

(٦) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٥٨.

ثم إن السلطان مرض وسلسل فى المرض حتى مات، ففسلّوه وكفّنوه، وصلّوا عليه ووضعوه فى تابوت، وحملوه بعد العشاء وسائر الأمراء والقضاة والعلماء، والفقهاء والصلحاء وأعيان الناس مشاة قدّامه إلى أن جاءوا به إلى البيمارستان فصلّوا عليه، ودُفِنَ داخل القبة التى تجاه مدرسة الملك الظاهر بيجرس ليلة السبت سادس ذى القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة^(١).

وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر وستة أيام، وكأنه لم يكن^(٢).

وخلف ثلاثة أولاد ذكور، وهم: الأشرف خليل، والناصر محمد، والأمير أحمد، ولّد بعد موت أبيه^(٣).

وكان الملك المنصور قلاوون حسن الشكل مربوعاً، درى اللون، قليل الكلام بالعربى، شجاعاً بطلاً عارفاً بالحرب، مغرمّاً بشراء الممالك، فاجتمع عنده فى ملكه اثنا عشر ألف مملوك^(٤).

قيل: إنه غير تلك الملابس الشنيعة لأنهم كانوا يلفون على رؤوسهم عمام بصوف أزرق بلا شاشات، فأمرهم أن لا يلبسوا إلا عمام بشاشات بيض. وهو الذى لف الكلوة بالشاش^(٥).

وشرط فى وقفه فى كل ليلة أربعة آلات يضرّبون بالعود وآلات الملاهى عند الضعفاء فى المارستان، وجعل لهم جوامك حتى يسامروا الضعفاء.

وشرط إردبين قمحاً طيباً ترمى فوق القبة بسبب الطيور، أثابه الله تعالى على ذلك الثواب الجزيل، إنه كريم.

(١) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٦٠ - ٣٦١.

(٢) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٦١.

(٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٦١.

(٤) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٦١.

(٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٦٢، والكلوة: وجمعها كلوات، غطاء الرأس، طاقية صغيرة تلبس وحدها أو بعمامة، وتسمى أيضاً كلفه وكلفته وكلفته.

[ذكر ملوك الجراكسة]

أولهم الملك الظاهر برقوق، ثم ولده الناصر فرج، ثم أخوه الملك المنصور عبد العزيز، ثم الخليفة المستعين بالله العباس، ثم المؤيد شيخ، ثم ولده المظفر أحمد، خُلع وسُجن حتى مات، ثم ولده الصالح محمد ابن الظاهر ططر، ثم الملك الأشرف برسباي، ثم ابنه العزيز يوسف، ثم الظاهر جقمق ثم ابنه المنصور عثمان خُلع وسُجن حتى مات، ثم الأشرف إينال، ثم ابنه المؤيد أحمد، ثم الظاهر خُوشقَدَم، ثم الظاهر بَلْبَای، ثم الظاهر تَمْرُبْغا، ثم الأشرف قايتباي، فكان هو السادس عشر أقام أربع سنوات، ثم خلع نفسه، ثم أعيد في يومه بسبب مماليكه، ثم أقام حتى مات ثم تولى بعده الملك الناصر محمد.

ثم تولى بعده خاله الملك الظاهر قانصوه ثم تولى بعده الأشرف جانبلاط، ثم العادل طومان باي، ثم الأشرف قانصوه الغوري، قيل: ثم طومان باي ابن أخى الغوري، ثم سليم شاه، ثم ولده سليمان.

والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، وصلى الله على سيدى محمد وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً، أبداً دائماً إلى يوم الدين. آمين - ١٠٧٣هـ.

obeikandi.com

فهرس الفهارس

- ١ - فهرس الآيات القرآنية.
- ٢ - فهرس الأحاديث.
- ٣ - فهرس الأعلام.
- ٤ - فهرس الأمم والطوائف والجماعات.
- ٥ - فهرس البلدان والأمكنة.
- ٦ - فهرس الأيام.
- ٧ - فهرس الكتب الواردة فى متن الكتاب.
- ٨ - فهرس الألفاظ الاصطلاحية.
- ٩ - فهرس الشعر.
- ١٠ - مصادر المصادر والمراجع.
- ١١ - فهرس المحتويات.

obeikandi.com

١ - فهرس الآيات القمانيّة

الآية	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾	الأعراف	١٣٧	٣٩
﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾	يوسف	٥٥	١٥
﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾	يوسف	٩٩	١٥
﴿وَهَزَى إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾	مريم	٢٥	١٨
﴿وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾	الشعراء	٣٦	٢١
﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾	الزخرف	٥١	٣٨
﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيُْونِ...﴾	الدخان	٢٥ - ٢٧	١٥
﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾	النارعات	٢٤	٣٨

obeikandi.com

٢- فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة

الحديث

١٥

«إذا فتح الله عليكم بقرى مصر»

٤٢

«اللهم بارك في بنها وفي عسلها»

١٦

«أهل مصر قوم ضعاف ما كادهم أحد إلا كفاهم الله مثونته»

٣٤

«بعث الله إلى أقوام البربر نبيا»

٤٣

«ستفتحون بعدى أرضا يذكر فيها القيراط»

١٥

«قسمت البركة عشرة أجزاء»

٤٣

«لو عاش إبراهيم لوضعت الجزية عن كل قبطنى»

٤٧

«مصر كنانة الله فى أرضه»

obeikandi.com

٣- فهرس الأعلام

ابن الأنباري: ٩٧.

أيوب بن شرحبيل الأصبحي: ٥٨.

(ب)

البودشير بن قفطريم: ٣١.

بختنصر: ٣٦، ٣٧، ٤١.

بدر الدين بيليك الخازندار: ١٣٢، ١٤١.

بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي: ١٤٤.

برجوان: ٨٨.

بردويل ملك الفرنج: ١٠٠.

بروكلمان: ٥.

ابن بسامة: ٤٨.

بشر بن صفوان: ٥٨.

بطرس: ٥٠.

البودشير بن قفطريم: ٣١.

(ت)

تبليال الألسن: ٢٥.

تدراس بن صا: ٣٣.

تدرسان بن قفال: ٢٧.

تمرنك: ١٣٦.

توران شاه: ١٢٠، ١٢٢.

(ج)

جابر بن الأشعث الطائي: ٦٤.

جانبلاط: ١٤٧.

جنادة اللغوي: ٩٠.

ابن الجوزي: ٩٨.

(١)

الأمير بأحكام الله أبو علي منصور: ١٠٠.

إبراهيم الخليل: ١٩.

إبراهيم بن صالح العباسي: ٦٣، ٦٤.

إبراهيم بن النبي ﷺ: ٤٣.

إبراهيم بن وصيف شاه: ٣٩.

وانظر ابن وصيف شاه

سیدی أحمد البدوي: ١٣٨.

أحمد بن طولون: ٦٩.

أحمد بن الظاهر بأمر الله العباسي: ١٣٢.

أحمد بن كيغلف: ٧٦.

أحمد بن محمد بن المدبر: ٦٨.

أحمد بن المسترشد بالله العباسي: ١٣٣.

إدريس عليه السلام: ٢٦.

أرميا (من أنبياء بني إسرائيل): ٤١.

الأسباط (من الأنبياء الذين دخلوا مصر):

١٩.

إسحاق بن جعفر الصادق: ٦٦.

إسحاق بن سليمان العباسي: ٦٤.

أسد الدين شيركوه: ١٠٦.

الأشرف قانصوه الغوري: ١٤٧.

الأشرف قايتباي: ١٤٧.

أفروس بن منقاووش: ٣٠.

أرمالينوس بن أفروس: ٣١.

جوهر الصقلي: ٧٨، ٨٧

(ح)

حاتم بن هرثمة: ٦٤.

حاطب بن أبي بلتعة: ٤٢.

الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد:

١٠١.

الحاكم بأمر الله أبو علي منصور: ٨٧.

حسان بن عتاهية التجيبي: ٥٨.

حسن إبراهيم (الدكتور): ٥.

الحسن بن التختاخ: ٦٤.

أبو الحسن بن حماد: ٧٠.

الحسن بن علي اليازوري: ٩٧.

أبو الحسن المسعودي: ١٧.

وانظر المسعودي

الحسين بن محمد القداح: ٨١.

حفص بن الوليد العامري: ٥٨.

حميد بن قحطبة: ٦٣.

أبو حنيفة النعمان: ٦٥.

حوثرة بن سُهَيْل الباهلي: ٥٨.

(خ)

خصليم بن لوجين: ٢٧.

خمارويه بن أحمد بن طولون: ٧٣.

خوند أشلون بنت الأمير نكاي: ١٤٣.

خوند خاتون: ١٤٥.

(د)

دارم بن الريان - الفرعون الثالث: ٣٧.

دانيال، عليه السلام: ١٩، ٤١.

داود بن يزيد المهلبى: ٦٤.

دركون بن بكطوش: ٤١.

دريموس بن دارم - الفرعون الرابع: ٣٧.

دلوكة - ملكة مصر: ٤٠.

(ذ)

الذهبي شمس الدين: ٧٨، ٨١.

(ز)

زين العابدين: ٨٤.

(س)

سالم بن سودة: ٦٣.

ست النصر أخت الحاكم بأمر الله: ٩٤.

سرقاق بن تدرسان: ٢٨.

السرى بن الحكم: ٦٥.

سزجين: ٥.

سعيد بن يزيد بن علقمة الأردى: ٥٧.

سليم شاه: ١٤٧.

سليمان بن سليم شاه: ١٤٧.

سوريد بن شهلوق: ٢٨.

سيرين: ٤٢.

(ش)

شجر الدر: ١٢٢، ١٢٣.

شدات بن عديم: ٣٢.

شطابن الهاموك: ٤٨.

ابن شهاب: ٤٣.

شهلوق بن سرقاق: ٢٨.

- شيرما الديلمي: ١٠٢ .
- (ص)
- صا (من ملوك مصر) ٣٣ .
- الصاحب بهاء الدين بن حنا: ١٣١ .
- صالح بن علي العباسي: ٦٣ .
- الصالح نجم الدين أيوب: ١١٧ .
- الصفدي: ١٣٢ .
- صلاح الدين الأيوبي: ١٠٨ ، ١٠٩ .
- أبو الصلت أمية الأندلسي: ١٧ .
- (ط)
- طلائع بن رزيك: ١٠٤ .
- الطغرائي: ١١٣ .
- طومان باي ابن أخي الغوري: ١٤٧ .
- (ظ)
- الظافر بالله أبو المنصور: ١٠٣ .
- الظاهر برقوق: ١٤٧ .
- الظاهر بلباي: ١٤٧ .
- الظاهر تمرغا: ١٤٧ .
- الظاهر ركن الدين بيبرس: ١٣١ .
- الظاهر قانصوه: ١٤٧ .
- الظاهر لدين الله على بن منصور: ٩٥ .
- (ع)
- العاذل سيف الدين أبو بكر: ١١٧ .
- العاذل سيف الدين سلامش: ١٤٢ .
- العاذل طومان باي: ١٤٧ .
- العاضل لدين الله أبو محمد عبد الله: ١٠٥ .
- عباد بن محمد: ٦٤ .
- العباس بن محمد: ٢٠ .
- ابن عبد الحكم: ٥١ .
- عبد الحميد بن المغيرة الفزاري: ٥٩ .
- عبد الرحمن بن خالد: ٥٨ .
- عبد العزيز بن مروان: ٥٧ .
- أبو عبد الله الأندلسي: ١٠٢ .
- عبد الله بن أبي السرح: ٥٣ .
- عبد الله بن طاهر الخزاعي: ٦٥ .
- عبد الله بن عبد الرحمن: ٦٣ .
- عبد الله بن عبد الملك بن مروان: ٥٨ .
- عبد الله بن المسيب الضبي: ٦٤ .
- عبد الملك الأزدي أبو عون: ٦٣ .
- عبد الملك بن رفاعة: ٥٨ .
- عيد الله بن السري: ٦٦ .
- عيد الله بن مروان: ٥٩ .
- عيد الله بن المهدي العباسي: ٦٤ .
- عتبة بن أبي سفيان: ٥٦ .
- عديم بن فيملون: ٣٢ .
- عرياق بن عيقام: ٢٦ .
- عز الدين أيك التركماني: ١٢٥ .
- العزیز بالله عماد الدين عثمان: ١١١ .
- العزیز بالله أبو منصور: ٨٥ .
- عسامة بن عمرو: ٦٤ .
- عطية القوصي (الدكتور) ٥ .
- عقبة بن عامر الجهني: ٥٧ .

علم الدين سنجر الشجاعى : ١٤٥ .

على بن سليمان العباسى : ٦٤ .

على بن معبد البغدادي : ٦٩ .

عنبة بن إسحاق بن شمر الضبى : ٦٧ .

عيسى عليه السلام : ١٨ .

عيسى بن مهنا : ١٣٢ .

عيقام بن تبليل الألسن : ٢٥ .

(ف)

ابن الفارض : ١١٦ .

الفاكهى : ٢١ .

الفائز بنصر الله : ١٠٤ .

فرسون بن منقاوش : ٣٢ .

فرعون لإبراهيم الخليل : ٣٥ .

فرعون موسى : ٣٧ .

فرعون يوسف : ٣٥ .

الفضل بن صالح العباسى : ٦٤ .

فيملون بن البودشير : ٣٢ .

(ق)

قبطيم بن مصريم : ٣١ .

قرة بن شريك العبسى : ٥٨ .

قسطنطين بن هرقل : ٤٨ .

القضاعى : ٢١ .

قفال بن خصليم : ٢٧ .

قفطريم بن قبطيم : ٣١ .

قلاوون الألفى سيف الدين : ١٣٨ ، ١٤٣ .

قيس بن سعد بن عبادة : ٥٤ .

(ك)

كافور الإخشيدى : ٧٦ .

الكامل محمد بن أيوب : ٨٦ .

الكامل ناصر الدين محمد : ١١٣ .

الكندى أبو عمر : ٤٥ ، ٤٦ ، ٥٥ .

(ل)

لقمان الحكيم : ١٩ .

ابن لهيعة : ٣٩ .

لوجيم بن عرياق : ٢٦ .

الليث بن سعد : ٦٤ .

الليث بن الفضل الأسدى : ٦٤ .

(م)

مأبور : ٤٢ .

ماروت : ٢٦ .

مارية : ٤٢ .

مالك بن الحارث النخعى : ٥٤ .

مالك بن دلهم الكلبي : ٦٤ .

مالك بن كيدر : ٦٧ .

ماليق بن تدراس : ٣٣ .

المأمون البطاتحى : ١٠١ .

ابن المتوج : ٤٧ .

محفوظ بن سليمان : ٦٧ .

محمد بن إدريس الشافعى : ٦٥ .

محمد بن الأشعث الخزاعى : ٦٣ .

محمد بن أبى بكر الصديق : ٥٤ .

- محمد بن زهير الأزدى: ٦٤.
 محمد بن طريف: ٢٠.
 محمد بن عبد الملك بن مروان: ٥٨.
 مرقونس: ٣٣.
 مرينوس: ٤١.
 المسيحي: ٩٨، ٨٢، ٥٢.
 المستعلى بالله أحمد: ١٠٠.
 المسعودى ٢١، ٤٥، ٩٨.
 وانظر أبو الحسن المسعودى
 المستنصر بالله أبو تميم معد: ٩٧.
 مسلمة بن يحيى الأحمسى: ٦٤.
 مصرام بن مصرم بن بصر: ١٧.
 مصرم بن بصر: ٣١.
 المطلب بن عبد الله الخزاعى: ٦٥.
 المظفر قطز المعزى: ٢٩.
 مظفر الدين يوسف بن مسعود: ١٢٥.
 المعز الفاطمى: ٨١.
 أبو المعالى محمد ابن الملك الظاهر
 ببيرس: ١٤١.
 معاوية بن حديج: ٤٦.
 مقراطيس: ٣٦.
 المقرئى: ١٦.
 المقوقس (أمير مصر من قبل هرقل) ٤٢.
 منشاء اليهودى: ٨٥.
 المنصور محمد ابن الملك العزيز عثمان:
 ١١٢.
 المنصور نور الدين على بن أيك: ١٢٨.
 منصور بن يزيد: ٦٣.
 منقاوس بن هوجيب: ٣٠.
 منقاوش بن شدات: ٣٢.
 المهدوى: ٣٨.
 موسى عليه السلام: ١٨.
 موسى بن أبى العباس: ٦٧.
 موسى بن عُلَى: ٦٣.
 موسى بن كعب بن عيينة: ٦٣.
 موسى بن مصعب: ٦٤.
 موسى بن عيسى العباسى: ٦٤.
 ميلاطس الفرعونى: ٣٧.
 (ن)
 نائلة زوجة عثمان بن عفان: ٥٥.
 ابن النيه: ١١٦.
 نسطورس النصرانى: ٨٥.
 نصر السعدى: ٦٧.
 أبو نصر الفلاحى: ٩٧.
 السيلة نفيسة بنت الحسن بن زيد: ٦٥،
 ٦٦.
 نقراوس: ٢٥.
 نور الدين الشهيد: ١٠٦.
 نونية الكاهنة: ٣٣.
 (هـ)
 هاجر أم إسماعيل: ٤٣.
 هاروت: ٢٦.

- هارون عليه السلام: ١٨ . وانظر إبراهيم بن وصيف شاه .
 هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون: وهب بن منبه: ٣٨ .
 ٣٣ . (ي)
 الهاموك - من ملوك القبط: ٤٨ . يحيى بن داود: ٦٣ .
 الهروي: ١٠٩ . يزيد التركي: ٦٧ .
 هوجيب بن سوريد: ٢٩ . يزيد بن حاتم المهلبى: ٦٣ .
 هولاكو: ١٢٩ . يعقوب عليه السلام: ١٩ .
 (و) يوسف عليه السلام: ١٩ ، ٣٦ .
 واضح المنصورى: ٦٣ . يوشع بن نون: ١٨ .
 ابن وصيف شاه: ٥٩ ، ٧٠ ، ٧٨ .

٤ - فهرس الأهم والطوائف والجماعات

(ش)	(١)
الشيعة: ٥٤.	الارمن: ١٣٥.
(ص)	الاعاجم: ٩٦.
صقالبة: ٨٢.	الافباط - القبط: ٢٠، ٤٦، ٤٧، ٥١.
(ف)	أولاد الحرافيش: ١٣٤.
الفرنج: ٨٦، ١٠٠.	(ب)
فقراء بغداد: ٧٠.	البربر: ٨٢، ٣٤.
(ك)	بنو إسرائيل: ١٧، ٤١، ١١٨.
كنانة: ٨٢.	بنو الأصفر: ٦٧.
(م)	بنو أمية: ٥٩.
المغاربة: ٨٢.	بنو العباس: ٥٩.
المماليك الصالحة: ١٢٥.	بنو قيس: ٥٨.
(ن)	(ت)
النصارى: ١٩، ٩٠.	التار: ١٣٧.
(ي)	التجار: ٥٩.
اليهود: ٨٧، ٩٠.	(ر)
اليونان: ٣٦.	الروم: ٣٦، ٤٧، ٤٨، ٨٢.

obeikandi.com

٥- فهرس البلدان والأمكنة

البحر الاسود المسمى بالزفتى: ٣٦.

بحر حلوان: ٣٧.

بحر الروم: ١٧.

بحر القلزم: ١٧.

البرابى: ٢٧.

البرج الكبير بالقلعة بمصر: ١٣٣، ١٤٠.

برقة: ١٧، ١٤٠.

بركة الفيل: ٧٠.

بركة قارون: ٧٠.

بصرى: ١٣٩.

بغراس: ١٣٥، ١٣٩.

بلاد البجة: ٢٨.

بلاد البربر: ٣٣.

بلاد السودان: ٣٥، ١٤٠.

بلاد النوبة: ١٧، ٥٩.

بلاد الهند: ٢٠.

بلغ: ٣٨.

بنها: ٢٠.

البهنسا: ١٩.

بيت المقدس: ١٠٠، ١٤٠.

البيمارستان المنصورى: ١٤٤.

(١)

أدنة: ١٣٩.

أرسوف: ١٣٩.

أرض كنعان: ١٣٠.

إرم ذات العماد: ٣٢.

الإسكندرية: ١٧، ٤٢.

أسوان: ١٧، ٣٨.

إطفيح: ٣٣.

إفريقية: ٨١.

إلبيرة: ١٣٧.

أمسوس: ٢٦، ٢٨.

أنطاكية: ١٣٥، ١٣٩.

أهناس: ٨.

(ب)

باب الزهومة: ١١١.

باب رويلة: ١٠٤.

باب الصاغة: ١١٨.

باب قاعة الأعمدة: ١٢٥.

باب النصر: ١١١.

بانياس: ١٣٩.

بين القصرين: ١١٥.

(ت)

تدمر: ١٣٩.

تربة القاضي بكار: ٦٥.

تل باشر: ٣٩.

تلميش: ١٣٩.

تنيس: ٨٦.

تبه بنى إسرائيل: ١٧، ١١٨.

(ج)

الجامع الأزهر: ١١٦، ١٤٠.

الجامع الأقمر: ١٠١.

جامع الحاكم بأمر الله ٨٧.

جامع الصالح بباب رويلة: ١٠٤.

جامع ابن طولون: ٧٠.

جامع الفكاهين بالشوأتين: ١٠٣.

الجامع الكبير بالحسينية: ١٤٠.

الجامع الكبير بمصر القديمة: ٥١.

الجبل الأحمر: ٢٨.

جبل القمر: ٢٦.

جبل يشكر: ٧٠.

(ح)

حارة برجوان: ٨٨.

حارة رويلة: ٨٧.

حارة الطبق: ٩٨.

حائط العجور: ٤٠.

الحجر الأسود: ٩٦.

الحجرة النبوية: ١١٠.

حدرة ابن قميحة: ٤٩.

الحرم النبوي: ١٤٠.

حصن الأكراد: ١٣٩.

حصن عكا: ١٣٩.

حلب: ٨٢، ١١١.

حلباء: ١٣٩.

حمص: ١٣٩.

(خ)

الخانقاه الصلاحية: ١١١.

خزانة البنود: ٩٧.

خط الاستواء: ٢٦.

خليج الإسكندرية: ٣٨، ١٤٠.

خليج دمياط: ٣٨.

خليج سخا: ٣٨.

- خليج مردوس: ٣٨.
 خليج القيوم: ٣٨.
 خليج منف: ٣٨.
 خليج المنهى: ٣٨.
 الخوايى: ١٤٠.
 (د)
 دار الضرب: ٨٢، ١٠٩.
 دركوش: ١٣٩.
 دمشق: ١١١، ١٣٩.
 دمياط: ١٧، ٤٨، ٦٧.
 (ر)
 رباط الآثار النبوى: ١٣١.
 الرحبة: ١٣٩.
 رشيد: ١٧، ٣٨.
 رعبان: ١٣٩.
 (ز)
 زاوية الشيخ خلف: ١٣١.
 رفاق القناديل: ٩٨.
 (س)
 السبع زهرات: ٢٢.
 سلوكة: ٣٦.
 سور الإسكندرية: ١٤٠.
 سور القاهرة: ٧٩.
 السور القديم الذى بناه جوهر القائد:
 ١٠٩.
 سور الناصر صلاح الدين: ١٠٩.
 سوق البزارين: ٧٧.
 سوق مرجوش: ١٠١.
 سيس: ١٣٩.
 (ش)
 الشام: ٢٠، ٣٨.
 الشقيف: ١٣٥، ١٣٩.
 الشوبك: ١٤٠.
 (ص)
 صا (مدينة): ٣٣.
 صافيثا: ١٣٩.
 الصالحية: ١١٨.
 صرخد: ١٣٩.
 الصعيد: ١٧، ٢٧.
 صفد: ١٣٩.
 الصلت: ١٣٩.
 صهيون: ١٤٠.
 (ط)
 طبرية: ١٣٩.

- طرابلس: ١٠٠، ١٣٦.
- طرسوس: ١٣٩.
- الطور: ٥٠.
- (ع)
- العباسة: ١١٣.
- عجلون: ١٣٩.
- العريش: ١٧، ٣٥.
- عسقلان: ١٠٥.
- عقبة أيلة: ١٧.
- عكا: ١٠٠.
- العكرشا: ١٣٢.
- عذاب: ١٧.
- عين جالوت: ١٣٠.
- (غ)
- غزة: ٦٥.
- (ف)
- فارسكور: ١٢٠.
- الفرات: ٨٢.
- الفسطاط: ٤٩، ٥٤، ٩٨.
- الفيوم: ٣٦، ٣٨.
- (ق)
- قاعة الأعمدة: ١٢٥.
- قاعة القبطيين: ١٤٤.
- قبالة: ١١٠.
- قبة الإمام الشافعي: ١١٦.
- قبة الصخرة: ١٠٠، ١٤٠.
- القدموس: ١٤٠.
- القرافة: ٦٤.
- القرافة الصغرى: ٧٨، ١١٦.
- القرافة الكبرى: ٥٧، ٨١.
- قرميدة: ٣٣.
- القرين: ١٣٩.
- القصر الأبلق بدمشق: ١٤٠.
- قصر الزمرد: ٨، ١٠٩.
- قصر الشمع القديم: ٣٦.
- القصير: ١٧، ١٣٩.
- قلعة الجبل: ١٠٩.
- قلعة شيزر: ١٣٩.
- قلعة الصببية: ١٣٩.
- قلعة العميدين: ١٤٠.
- قلعة الكهف: ١٤٠.
- القمامة بيت المقدس: ١٠١.
- قناطر أبي المنجا: ١٤٠.
- قناطر السباع: ١٤٠.

- قناطر شبرامنت بالجيزة: ١٤٠ .
 المغارة: ١٠٩ .
- القنطرة الكبيرة ببحر النيل ببلاد النوبة: ٢٧ .
 المغرب: ١٠٢ .
- قيسارية: ١٣٩ .
 مقابر الفسطاط: ٥٦ .
- قيسارية العسل: ٧٧ .
 مقياس جزيرة الفسطاط: ٦٧ .
- (ك)
 الكرك: ١٤٠ ، ١٤٢ .
 الكعبة: ٢٠ .
- الكنيسة المعلقة: ٤٥ .
 كنسوك: ١٣٩ .
- (م)
 محراب النمل: ٧٠ .
 المنف: ٣٧ .
- (ن)
 نابلس: ١٠٠ .
 نقادة: ١١٠ .
- المدرسة الأشرفية: ١٤٥ .
 المدرسة السيوفية: ١١١ .
- المدرسة الصالحية النجمية: ١١٨ .
 النوبة: ١٤٠ .
- المدرسة الكاملية بين القصرين: ١١٥ .
 النيل: ٢٠ ، ٢٦ ، ٢٧ .
- المدينة الخضراء (من مدائن بنى إسرائيل) ١١٨ .
 مدينة الخليل: ١٤٠ .
- (هـ)
 الهرمان: ٢٩ .
- (و)
 المراغة: ٦٦ .
 موزيان: ١٣٩ .
- مصر: ٢٦ .
 الواحات السبع: ١٧ .
- (ي)
 المصبصة: ١٣٩ .
 وادى العباسية: ١١٣ .
- يافا: ١٣٥ ، ١٣٩ .
 المطرية: ٧١ .

obeikandi.com

٦- فهرس الأيام

يوم عيد النحر: ٦٧.

يوم الفطر: ٥٦.

يوم النوروز: ٤١.

٧- فهرس الكتب الواردة في هذه الكتاب

الإشارات في معرفة الزيارات للهروي: ١٠٩.

تاريخ مكة للفاكهى: ٢١.

تذكرة صلاح الدين الصفدى: ١٣٢.

تفسير المهدوى: ٣٨.

الخطط للمقريزى: ١٦.

لامية العجم لمؤيد الدين الطغرائى: ١١٣.

obeikandi.com

٨- فهرس الألفاظ الاصطلاحية

بواب باب الإسكندرية: ٤٧.

(١) بيوت الحشيش: ١٣٥.

الآبنوس الأسود: ١٩. بيوت المسكرات: ١٣٥.

الأترج المدور: ٢٠. (ت)

الأجراس: ٧٩. الترمس: ٨٩.

أجلال الخيل: ٢٠. الترياق: ١٩.

أرباب الملاعب: ١١٠. تنور يشوى فيه من غير نار: ٣٧.

أستادار العالية: ٣٨. تين بثونة: ٢٢.

أسطوانة من الرخام الأبيض: ٣٣. (ث)

الأفيون: عصارة الخشخاش: ١٩. الثعابين: ٢٠.

الأوز: ٧٧. ثياب ديباج: ٨٨.

(ب) ثياب من يياض مصر: ٤٢.

البرسيم: ٢٠. (ج)

البطاقة التى أقيت فى النيل زمن عمرو بن جاليش العسكر: ١٣٧.

العاص: ٥٠. الجزية: ٤٧.

البطيخ: ١٨. الجندارية: ١١٤.

البطيخ الصيفى: ٢٠. الجوامك: ١٣٦.

البطيخ العبدلاوى: ٦٥. (ح)

البغال: ٢٠. الحانات: ١٣٥.

البلح: ١٨. الحبال: ٧٩.

البنفسج: ٢٢. الحجر الأبيض الكذان: ٧١.

- الحجر الفص: ٨٨. الخواطي: ١٣٥.
- الحجر الفص النحيت: ١٠٩. الخوخ الزهرى الأحمر: ٢٠.
- الحريز الأخضر: ٣٧. خيار الشنبر: ٢٠.
- الحطب السنط: ١٩. الخيل: ٢٠.
- الحلى: ٥٩. خيل البريد: ١٣٦.
- (د)
- الحمام: ٧٧. الدجاج: ٧٧.
- الحمير: ٢٠. الدرهم: ٢٩.
- الحمى: ١٩. الدلدل (بغلة): ٤٢.
- الحيات: ١٩. دهن البلسان: ١٩.
- (خ)
- الخيز: ٧٧. دهن السلجم: ١٩.
- خراج مصر: ٣٣. الدولة الإخشيدية: ٧٦.
- خراج مصر فى زمن أحمد بن طولون: دولة الأكراد: ١٠٧.
٦٩. دولة الخلفاء العباسية: ٦٣.
- خراج مصر فى زمن عمرو بن العاص: دولة الخلفاء الفاطمية: ٨١.
٥٢. دولة الفاطمية: ٤٩.
- خراج مصر فى زمن فرعون (موسى): الديباج الحرير: ٨٨.
٣٩. دينار: ٥٩.
- (ذ)
- خراج مصر فى زمن فرعون (يوسف): ذراع العمل: ٢١.
- ٣٥.
- (ر)
- خزائن بنى أمية: ٢٩. راتب مطبخ كافور: ٧٧.
- الخشخاش: ١٩.

- رأس الحسين نقلها من عسقلان إلى سحرة فرعون: ١٩.
 القاهرة: ١٠٥. السقنقور: ١٩.
 الربيع: ٢١. السكر: ٧٧.
 الرخام الأخضر: ٣٧. سكين منصوية تأتي إليها البهائم فتذبج بها:
 الرخام المرمر: ٢٠. ٣٧.
 الرخام الملون: ١٩. السمك: ٧٧.
 الرخامة الخضراء التي في الحجر عند السمك البلطي: ٨٦.
 الكعبة: ٢٠. السمك الرعاد: ١٩.
 الرطب: ٨٩. سمك كيهك: ٢٢.
 رطب توت: ٢٢. السمك اللبيس: ٨٦.
 الرمان: ١٨. السم: ٢٦.
 رمان بابة: ٢٢. السيمياء: ١٠٢.
 رميس أمشير: ٢٢. (ش)
 (ز) الشب اليماني: ١٩.
 ريدية صيني: ٨٨. شجرة من نحاس أصفر: ٢٨.
 الزبيب: ٨٩. الشعبة: ١١٠.
 الزمرد الذبابي: ١٩. الشمع - الشموع: ٣٦، ٨٩، ٩٦.
 زهر النارنج: ٢٢. الشواني: ١٤٠.
 الزوارق: ٢١. (ص)
 ريادة النيل: ٦٣. صلبان حديد: ٩٠.
 (س) صنم الحاكم بأمر الله الذي يسمى أبو
 السحر: ٢٧، ٣٣. الهول: ٩١.

صورة بطة من نحاس أصفر: ٢٨.

الفوانيس: ٧٦، ٩٦.

(ط)

(ق)

الطاعون: ٥٧.

القباقيب: ١٢٧.

الطبل بار: ١٠٣.

قبة من البلور: ٨١.

طرطور: ٩٢.

قرامي خشب: ٩٠.

الطلسمات: ٢٦، ٢١.

القرع: ١٨.

الطواشية: ١١٠.

قربوس السرج: ١١١.

الطوفان: ٣١.

قلم الطير: ٢٩.

(ع)

القمح: ١٨، ٦٩.

العرس: ٢٠.

القناديل: ١٠٠.

عسل أيب: ٢٢.

القولنج: ١٠٢.

العسل الأسود: ٨٩.

(ك)

عسل أبيض: ٢٢.

الكتان: ٢٠.

العسل النحل المصري من بنها: ٢٠، ٤٢.

الكروم: ٨٩.

عفير - يعفور (حمار): ٤٢.

الكمثرى: ١٨.

العنب: ١٨.

الكلاب: ٨٩.

العوسج: ٢٠.

الكلاب السلوقية: ٣٢.

عيد الصليب: ٥٠.

الكهانة - الكهنة: ٢٧، ٣٣.

الكوسات: ١٢٠.

(غ)

الغريبان: ٢٦.

(ل)

لبن برمها: ٢٢.

(ف)

الفجل: ٥٤.

اللحم البقرى: ٧٧.

الفضة: ٢٨.

اللحم الضأن: ٧٧.

اللحم الضأن العربى: ٢٠.

- اللعب بالأكرة فى ميدان الكرك: ١٤٢ .
 اللؤلؤ: ٨٨ .
 ليلة الغطاس: ٧٦ .
 الليمون: ٢٠ .
 مور هاتور: ٢٢ .
 منابر الذهب بالفيوم: ٣٨ .
 مؤمن آل فرعون: ١٩ .
 (ن)
 النارنج: ٢٠ .
 النارنجيات: ٣٧ .
 نائب تيس: ٨٦ .
 نبق بشنس: ٢٢ .
 النجارة: ٨٩ .
 النرجس: ٢٢ .
 نرجسية ذهب: ٨٨ .
 النسرين: ٢٢ .
 النعال: ١٢٧ .
 النمس: ٢٠ .
 (م)
 ماء طوبة: ٢٢ .
 ماء يستحيل نارا: ٣٧ .
 ماء يستحيل هواء: ٣٧ .
 مثقال من الذهب: ٤٢ .
 مدهن من الياقوت الأحمر: ٣٠ .
 المراكب: ٩٦ .
 مراكب الروم: ٤٧ .
 مساميح: ١٠٨ .
 مطهرة فيها ماء أخضر: ٢٦ .
 معامل الفرائيج: ١٩ .
 مقاطع الشرب: ٢٠ .
 المقوقس يصيف بمصر ويشتى بالإسكندرية: ٤٢ .
 المكوس: ٦٩ ، ١٠٨ .
 ملاعق ذهب: ٨٨ .
 الملح: ١٩ .
 ملك النوبة: ٦٠ .
 الملوخية: ٨٩ .
 الموز: ١٨ .
 (و)
 ورد برمودة: ٢٢ .
 الورد القحابى: ٢٢ .
 الورد النصيبى: ٢٢ .
 الوطاق: ١٢٩ .
 وليمة عرس: ١٣٤ .
 (ي)
 الياسمين: ٢٢ .
 الياقوت: ٨٨ .

obeikandi.com

٩ - فهرس الأشعار

الصفحة	عدد الآيات	القائل	القافية
		(حرف الهمزة)	
٢٢	٢	-	كالأغنياء
		(حرف الباء)	
٧٧	١	محمد بن عاصم	طرباً
٧٤	٢	-	بالعجب
		(حرف الدال)	
٧٩	١	-	أراداً
٩٧	١	أبو العلاء المعري	الأضداد
		(حرف الراء)	
٨٤	٢	تميم بن المعز	فتحيراً
٢٣	٢	الشهاب المنصوري	الشكور
		(حرف القاف)	
٩٤	٢	-	الحماقه
٢٨	٢	-	العوائق
		(حرف الكاف)	
٨٣	١	-	سبك
		(حرف اللام)	
٨٥	٤	عبد الله بن حسن الجعفرى	الحملا
		(حرف النون)	
٧٣	٢	-	البدن
		(حرف الياء)	
٧٣	٢	-	حى

obeikandi.com

١٠- فهرس المصادر والمراجع

- إخبار الدول المنقطعة: ابن ظافر (على بن ظافر ت ٦١٣ هـ) مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠١ م.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة: ابن الأثير (على بن محمد ت ٦٣٠ هـ) دار الشعب، القاهرة ١٩٧٠ م.
- الإشارات إلى معرفة الزيارات: الهروي (أبو الحسن على بن أبي بكر ت ٦١١ هـ) دمشق ١٩٥٣ م.
- الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر (أحمد بن على ت ٨٥٢ هـ) دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٧٠ م.
- بدائع الزهور في وقائع الدهور: ابن إياس (محمد بن أحمد ت ٩٣٠ هـ) مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة ١٩٧٥ م.
- تاريخ الأدب العربي: بركلمان، دار المعارف بمصر ١٩٦٨ م.
- تاريخ الإسلام: الذهبي (محمد بن أحمد ت ٧٤٨ هـ) دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٧ م.
- تاريخ التراث العربي: فؤاد سزكين، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ م.
- تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب وسورية وبلاد العرب: د. حسن إبراهيم، مكتبة النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٤ م.
- تاريخ القضاء (محمد بن سلامة ٤٥٤ هـ) جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٩٩٥ م.
- تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العربية: د عطية القوصي، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٦ م.
- تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات: السخاوي (نور الدين أبو الحسن على بن أحمد ت بعد سنة ٨٨٧ هـ) مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٩٨٦ م.
- تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والولاة: الشرقاوي عبد الله بن حجازي ١٢٢٧ هـ) المطبعة الأزهرية المصرية ١٣١١ هـ.
- التنبيه والإشراف: المسعودي (على بن الحسين ت ٣٤٦ هـ) طبعة لندن ١٨٩٣ م.

- جواهر البحور ووقائع الدهور وعجائب الدهور، وأخبار الديار المصرية: ابن وصيف شاه (إبراهيم بن وصيف شاه، كان موجوداً سنة ٦٠٦هـ) نسخة في خزانة خاصة.
- جواهر السلوك في الخلفاء والملوك: ابن إياس (محمد بن أحمد ت ٩٣٠هـ) مخطوطة مكتبة أحمد الثالث.
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١هـ) مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة ١٩٦٧م.
- الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة: على باشا مبارك ت ١٣١١هـ) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢م.
- الخطط: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: المقرئ (أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ) مصورة عن طبعة بولاق ١٢٧٠هـ.
- سكردان السلطان: ابن أبي حجلة (شهاب الدين أحمد بن يحيى التلمساني ت ٧٧٦هـ) طبعة الخانجي، القاهرة ٢٠٠١م.
- الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة: ابن عبد الظاهر (محيي الدين أبو الفضل عبد الله بن عبد الظاهر ت ٦٩٢م) الدار العربية للكتاب، القاهرة ١٩٩٦م.
- الرسالة المصرية: أبو الصلت (أمية بن عبد العزيز الأندلسي ت ٥٢٨هـ) مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة ١٩٧٢.
- سيرة أحمد بن طولون: البلوي (أبو محمد عبد الله بن عمير من علماء القرن الرابع الهجري) مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا: القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي ت ٨٢١هـ) نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٦٣م.
- صحيح مسلم (مسلم بن الحجاج ت ٢٦١هـ) دار الحديث، القاهرة ١٩٩٧م.
- طبقات المناوي: الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية: المناوي (عبد الرؤف ت ١٠٣١هـ) المكتبة الأزهرية، القاهرة.
- فتوح مصر والمغرب: ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله ت ٢٥٧هـ) مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٩٥م.
- الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة: ابن ظهيرة (محمد بن محمد القدسي ت ٨٨٨هـ) دار الكتب المصرية ١٩٦٩م.

- فضائل مصر وأخبارها وخواصها: ابن رولاق (الحسن بن إبراهيم الليثي ت ٣٨٧ هـ) مكتبة الخانجي، القاهرة ٢٠٠٠ م.
- فضائل مصر المحروسة: ابن الكندي (عمر بن محمد بن يوسف من علماء النصف الثاني من القرن الرابع الهجري) مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٩٧ م.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: المتقي الهندي (علاء الدين علي ٩٧٥ هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٩ م.
- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين: ابن حبان (محمد بن حبان البستي ت ٣٥٤ هـ) دار الوعى، حلب ١٤٠٢ هـ.
- مختصر تاريخ دمشق: ابن منظور (محمد بن مكرم ت ٧١١ هـ) دار الفكر، دمشق ١٩٨٤ م.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر: المسعودي (علي بن الحسين ت ٣٤٦ هـ) بالمكتبة العصرية، بيروت ١٩٨٨ م.
- المغرب في حلى المغرب - الجزء الخاص بمصر: ابن سعيد (علي بن موسى ت ٦٨٥ هـ) مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة ١٩٥٣ م.
- المقفى الكبير: المقرئ (أحمد بن علي ت ٨٤٥ هـ) دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩١ م.
- النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة: ابن سعيد (علي بن سعيد المغربي ت ٦٨٥ هـ) مركز تحقيق التراث، القاهرة ١٩٧٢ م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ابن تغرى بردى (جمال الدين يوسف ت ٨٧٤ هـ) مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٣ م.
- نهاية الأرب في فنون الأدب: النويري (أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٢ هـ) النسخة المصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٣ م المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة - بدون تاريخ.
- الوافى بالوفيات: الصفدي (خليل بن أيك ت ٧٦٤ هـ) تحقيق مجموعة من العلماء، بيروت ١٩٤٩ وما بعدها.
- وفيات الأعيان: ابن خلكان (أحمد بن محمد ت ٦٨١ هـ) دار صادر، بيروت ١٩٧٢ م.
- الولاة: الكندي (أبو عمر محمد بن يوسف ت ٣٥٠ هـ) دار صادر، بيروت ١٩٥٩ م.
- يتيمة الدهر: الثعالبي (عبد الملك بن محمد ت ٤٢٩ هـ) بيروت ١٩٧٩ م.

obeikandi.com

١١ - فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة التحقيق	٥
ذكر المواضع التي وقع فيها ذكر مصر في القرآن	١٥
ما روى عن رسول الله ﷺ في ذكر مصر	١٥
آثار موقوفة	١٦
دعاء الأنبياء لمصر	١٦
ذكر اشتقاق مصر	١٧
ذكر حدود أرض مصر ومسافتها	١٧
ذكر فضائل مصر ومن ولد بها من الأنبياء عليهم السلام	١٨
ذكر محاسن مصر وعجائبها	١٩
أول من ملك مصر من الجبابرة	٢٥
أول من ملك مصر بعد زوال الطوفان	٣١
ذكر من ملك مصر من الفراعنة	٣٥
ابتداء دولة الأقباط بمصر	٤١
ذكر الهدية التي بعث بها المقوقس إلى رسول الله ﷺ	٤٢
ابتداء دولة الإسلام وفتح مصر على يد عمرو بن العاص	٤٥
فتح دمياط	٤٨
ذكر ولاية مصر من قبل الخلفاء الراشدين والأمويين	٥٣
ذكر من تولى مصر من الأمراء العباسية	٦٣
ذكر أخبار دولة الأمير أحمد بن طولون	٦٩
الدولة الإخشيدية بمصر	٧٦
ذكر أخبار أبي المسك كافور	٧٦
دخول جوهر الصقلي إلى مصر	٧٨
ابتداء دولة الخلفاء الفاطمية العبيدية بمصر	٨١

الموضوع	الصفحة
خلافة العزيز بالله أبي منصور	٨٥
خلافة الحاكم بأمر الله	٨٧
خلافة الظاهر لدين الله	٩٥
خلافة المستنصر بالله	٩٧
خلافة المستعلى بالله	١٠٠
خلافة ج الأمر بأحكام الله	١٠٠
خلافة الحافظ لدين الله	١٠١
خلافة الظافر بالله	١٠٣
خلافة الفائز بتصر الله	١٠٤
خلافة العاضد لدين الله	١٠٥
ذكر ابتداء دولة الاكراد من بنى أيوب	١٠٧
سلطنة الملك العزيز بالله عماد الدين عثمان	١١١
سلطنة الملك المنصور محمد	١١٢
سلطنة الملك العادل ابن الأمير نجم الدين	١١٢
سلطنة الملك الكامل ناصر الدين	١١٣
سلطنة الملك العادل سيف الدين أبي بكر	١١٧
سلطنة الملك الصالح نجم الدين أيوب	١١٧
سلطنة الملك المعظم تورانشاه	١٢٠
سلطنة شجر الدر	١٢٣
ابتداء دولة الاتراك بمصر	١٢٥
سلطنة الملك المنصور نور الدين	١٢٨
سلطنة الملك المظفر قطز	١٢٩
سلطنة الملك الظاهر بيبرس	١٣١
سلطنة الملك السعيد أبي المعالي	١٤١

الموضوع	الصفحة
سلطنة الملك بالعدل سيف الدين سلامش	١٤٢
سلطنة الملك المنصور قلاوون الألفى	١٤٣
ذكر ملوك الجراكمة	١٤٧
فهارس الكتاب:	١٤٩
١ - فهرس الآيات القرآنية	١٥١
٢ - فهرس الأحاديث النبوية	١٥٣
٣ - فهرس الأعلام	١٥٥
٤ - فهرس الأمم والطوائف والجماعات	١٦١
٥ - فهرس البلدان والأمكنة	١٦٣
٦ - فهرس الأيام	١٦٩
٧ - فهرس الكتب الواردة فى متن الكتاب	١٦٩
٨ - فهرس الألفاظ الاصطلاحية	١٧١
٩ - فهرس الشعر	١٧٧
١٠ - فهرس المصادر والمراجع	١٧٩
١١ - فهرس المحتويات	١٨٣

obeikandi.com